

نبيّ الفينيقيين

حقائق في التاريخ والمنهج من منظور النص القرآني

أ.د. حسين بن عليّ الزومي

أستاذ التفسير بجامعة القصيم


إلياس عليه السلام
نَبِيُّ الفِينِيقِيِّين



رقم الطبعة	الأولى
سنة الطبع	1442هـ - 2020م
عدد الصفحات	144 صفحة
المقاس	17 × 24
رقم الإيداع	2020/10847م
الترقيم الدولي	I.S.B.N: 978-977-6702-79-0





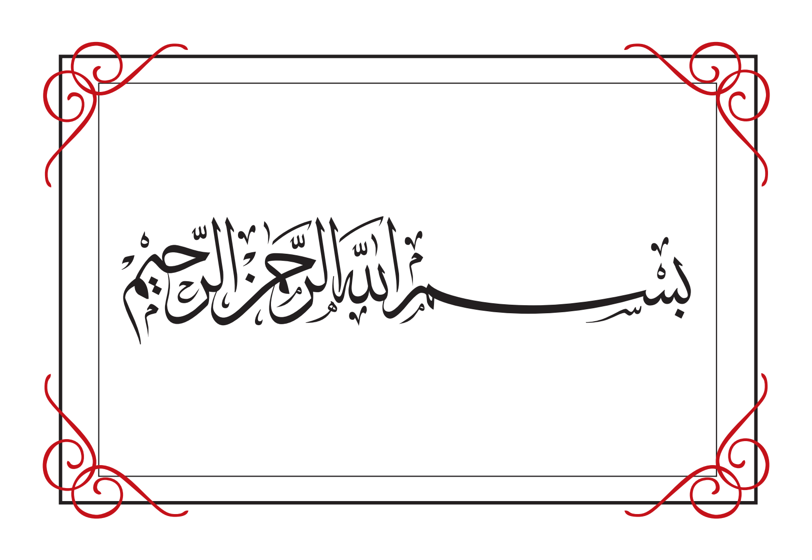
إلياس عليه السلام

نبي الفينيقيين

حقائق في التاريخ والمنهج من منظور النص القرآني

أ.د. حسين بن علي الزومي

أستاذ التفسير بجامعة القصيم


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهم. **وبعد:**

فلقد أدرك غير المسلمين -بلْه المسلمين- منذ تنزّلات القرآن الأولى وحتى الآن أن سرّ قوة المسلمين إنما تكمنُ في القرآن الكريم، بمنهجه وهداياته وكمال مبادئه. وكان من أقوى المشاهد القرآنية التي عرضت لذلك المنهج الرشيد والمبادئ العتيدة مشاهد الأنبياء القادة الذين حملوا راية الدعوة والتوحيد منذ نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحتى خاتم النبيين محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم.

كما أن الحقائق التاريخية التي جاء بها القرآن العظيم هي أصدق من كل حقيقة يُدلي بها البشر، وهي جزء من الغيب الذي نؤمن به، وليست تلك الحقائق ضربًا من الأساطير التي اقترفتها أيادي أهل الكتاب، في تحريفهم لكتاب ربّ الأرباب.

ولاكتشاف بعض الحقائق يقلّب الذهن الفِكَر، ويغوصُ بين الدرر؛ لاستلهام التاريخ وما ينبئ عنه من أثر. وقد كان للمخدوم المهايمي الهندي محاولات رائعة في استنباط المعاني من الآيات في تفسيره: (تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن) حتى عَدّ هذا من أعظم الفضل والمنة من الله تعالى عليه، وقال في مقدمته: «فأمكنني أن أبرزهن من خدورهن ليرى بمرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد

ماكان يعدّ من قبيل الألغاز، فيظهر به أنها جوامع الكلمات ولوامع الآيات، لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته، فكل كلمة سلطان دارها، وكل آية برهان جارها»[1].

ومن المشاهد القرآنية ما يمرّ عليها بعض القَرَأَةِ مرور السهام، لا يقفون عند عجائبها، ولا يستلهمون منها العبر، مع أنها قد ملئت كنوزًا لمن تفكّر وتدبّر، ومن تلك المشاهد والقصص التي مُزجت بروعة القرآن وجمال لفظه وفخامة معناه: قصة نبي الله إلياس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وربما ساهم قِصَر القصة في جعل بعض المسلمين يغفل عن أخذ العبرة منها، مع ما اشتملت عليه من كنوز وروائع.

وقد ورد اسم (إلياس) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن الكريم بموضعين:

الأول: في سورة الأنعام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام:85].

الثاني: في سورة الصافات، وذلك في الآيات التالية: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:123- 132].

(1) المهايمي، تبصير الرحمن وتيسير المنان (1/ 3).





أما الموضع الأول: فكان في ثنايا ذكر أسماء الأنبياء وذرياتهم، بدون الخوض في تفاصيل أخبارهم؛ إذ تسرد الآيات: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:83-87].

وأما الموضع الثاني -في سورة الصافات-: فقد ذُكِر فيه تفصيلات قصة إلياس، التي تتحدث عن شعب الفينيقيين، وكيف بلغ بهم الحال أن عبدوا البعل، فجاءهم النبي الكريم إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ داعيًا ومحذّرًا ومنذرًا، وإن كان يغلب عليها الإجمال؛ إذ جاءت في عشر آيات قصار، ولكنها تحمل بين طيّاتها الكثير من المعاني الزاخرة والإشارات الباهرة، وهو ما سنلمسه جليًّا في كتابنا هذا، على قلة زاد الكاتب وضعف إدراكه عن سبر أغوار دقائق المعاني ورفعة الألفاظ والمباني، ولكنها محاولة الجاهد في استشعار اللفتات وفقه ظواهر الكلمات النيّرات.

ونحن هنا نريدُ الوصول إلى معرفة تلك الأمة التي خلت، ومدى السقوط الوثني الذي بلغته؛ ونحاول إظهار الحقائق حول شخصية إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واستنباط منهجه الدعوي من خلال الآيات القرآنية الواردة في قصّته، كما

نحاول أيضًا إظهار هذا النبي الكريم وإبراز دوره، ليكون نبراسًا لأبناء الأمة المحمدية.

ومع أن كثيرًا من مفسّري القرآن الكريم، بل أغلبهم، وكذلك مؤرخي المسلمين، ينصّون في كتبهم على أن نبي الله إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ إسرائيلي، وأن الله بعثه إلى بني إسرائيل الذين عبدوا (البعل)، إلا أن هذا الكتاب جاء ليكشف الحقيقة الغائبة، وأن إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ فينيقي بعثه الله إلى الفينيقيين -الذين اخترعوا عبادة البعل- ويعدّ شعب الفينيقيين نموذجًا فريدًا للأمم المؤثرة في تاريخ العالم. ولذلك ساهم هذا الكتاب في بيان حقيقة الفينيقيين وأصولهم ومكان تواجدهم، وبيان حقيقة البعل، وتوضيح مدى انتشار عبادته. وهو الإله الذي جاء القرآن باسمه صريحًا (البعل) معبود الفينيقيين، بخلاف ما جرت عليه العادة في آلهة الأمم السابقة، وهو ما يسترعي منا الانتباه لمعرفة حقيقته وتأثيره.

لقد حاول الكاتب أن يُدلي بدلوه للإسهام في تأصيل التاريخ القرآني، وإثبات أن الكنوز القرآنية ما زالت لم تنضب، وأنها متجددة بتجدّد الحياة.

ويتكوّن هذا الكتاب من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، مقسّمة كالآتي:

المبحث الأول: النبي إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: الأصل اللغوي لكلمة (إلياس).

المطلب الثاني: حقيقة شخصية إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثاني: مقامات إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومقوّماته.

المطلب الثالث: صفات أتباع إلياس المؤمنين.

الخاتمة: وفيها بيان أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها

ولعل ما سطّره قلمي في فضاءات مقام النبي إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يكون شافعًا لي ونورًا يوم ألقى الله.. والله المستعان وحده.

أ.د. حسين بن علي الزومي
أستاذ التفسير بجامعة القصيم
Aqwa2007@gmail.com

المبحث الأول

النبي إليــاس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: الأصل اللغوي لكلمة (إلياس).

المطلب الثاني: حقيقة شخصية إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

المطلب الثالث: مكان مولده.

المطلب الرابع: موطن دعوته وبعثته.

المطلب الأول

الأصل اللغوي لكلمة (إلياس)

اختلف أهل اللغة في اسم (إلياس) وأصل الكلمة إلى ثلاثة آراء رئيسة:

- فمنهم من يرى أن إلياس اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف، قال ابن سيده: أراه عبرانيًّا. قال الجَوْهَرِيّ: وقد سَمَّت العرَب به، وهو إلياسُ ابنُ مُضَرَ بن نِزار بن مَعَدِّ بن عدنان[1]. ويرى (المصطفوي) أن الظاهر في إلياس أنها معرّبة من إليّاهو، أو إيلياء. وحرف السين تلحق أواخر الأسماء في اليونانيّة كثيرًا كما في هرمس، ديوغانس، هيردوطس، يولياس، طيطوس.

وتوجد في الكلمات المعرّبة وغيرها كثيرًا، كما في إبليس، برجيس، بلقيس، جرجيس، سندوس، عبدوس، طمروس، طرابلس، طرطوس، طغموس، جرنفس.

وراجع باب ما آخره السين من قاموس اللغة تجد فيها لغات كثيرة من هذا القبيل، وإلحاق السين في غالب موارده: إمّا للوقف والسكت كالهاء، وإمّا للدلالة على العظمة والمبالغة والكثرة والزيادة[2].

- ومنهم من يرى أن الكلمة عربية، واختلفوا في اشتقاقه؛ فمنهم من قال: هو على وزن فِعْيال من الأَلْس وهو اخْتلاطُ العقلِ. وقيل: هو إفعال

---

(1) الزبيدي، تاج العروس (15/ 404) مادة (ألس).
(2) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، (1/ 140).

مـن (ليس) يقال: رجلٌ أَلْيَسُ أي شُـجاعٌ لا يَفِـرُّ، أو أخذوه من ضِدّ الرَّجاءِ ومَدُّوه.

– ومنهم من فرّق بين النبي إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ وجدّ النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليـاسُ بـنُ مُضَرَ، وأن القياس بينهما في التَّركيب قياسٌ فاسـدٌ؛ لأَنَّ ابن مُضَرَ الأَلِف واللام فيه مثلهما في (الفضل)، وكذلك أَخوه (النَّاسُ عَيْلانُ) وما كان صِفةً في أَصلِه أو مَصدرًا فدخولُ الأَلِف واللام فيه غيرُ مُلازم[1].

قال السهيلي في الروض: «قال ابن الأنباري: إلياس بكسر الهمزة، وجعله موافقًا لاسـم إلياس النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال في اشـتقاقه أقـوالًا... والذي قاله غـير ابن الأنبـاري أصح، وهو أنـه اليأس، سـمي بضد الرجـاء، واللام فيه للتعريف، والهمزة همزة وصل[2]»، وقال المفضل بن سلمة –وقد ذكر إلياس النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ–: وأما إلياس بن مضر فألفه ألف وصل، واشتقاقه من اليأس، وهو السّـل، وقال الزبير بن بكار: إلياس بن مضر أول من مات من السـلّ، فسمي السلّ يأسًا[3].

★ والـذي يترجّح لي هـو الرأي الثاني، وأن الصحيح في إلياس بن مضر أنـه بقطع الألف واشـتقاقه من قولهم: رجـل أَلْيَس: أي شـجاع، والأَلْيَس: الذي لا يفرُّ ولا يبرح من مكانه، وقد تليّس أشد التليّس، وأَسُود لِيسٌ وَلَبُؤَةٌ لَيْسَاء. وهذا يقتضي أنه عربي، فيكون حذف التنوين منه للضرورة[4].

(1) الزبيدي، تاج العروس (15/ 404) مادة (ألس).
(2) السهيلي، الروض الأنف (1/ 6).
(3) البكري، سمط اللآلي (1/ 950).
(4) الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب (4/ 305-307).

وذهب البقاعي إلى أن الداعي إلى تسميته بهذا الاسم هو ما سبق في علم الله أنه ييأس ممن يدعوهم إلى الله فيكون ممن يأتي يوم القيامة وما معه إلا الواحد أو الاثنان[1]، فجعل سبحانه اسمه مناسبًا لأمره في قومه بيأسه منهم حين فرّ إلى الجبال من شرّهم، أو أنه مأخوذ من يأسهم من القدرة على قتله، فإنهم اجتهدوا في ذلك حتى أعياهم، واستدلّ البقاعي على هذا المعنى بقراءة ابن عامر بخلاف عنه بوصل الهمزة في الدرج وفتحها في الابتداء[2].

ولعلّ من فرّق بينهما أشكل عليه كون إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بني إسرائيل، فكيف نبحث لاسمه عن اشتقاق في اللغة العربية وهو عبراني؟ وهذا الإشكال يزول حينما نعلم أنه ليس إسرائيليًّا، وإنما أصوله كلدانية أو فينيقية بحسب قومه الذين كانوا يقطنون في (بَعْلَبَكّ) آنذاك. وهي ذاتها أصول القبائل العربية القديمة.

وقد جاءت في (إلياس) ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قرئت (وإن إلياس) بهمزة القطع المكسورة، وهي قراءة الجمهور؛ لأن إلياس ليس بموضع تحذف فيه الهمزة، إنما هو موضع تجعل فيه بين بين في التخفيف كما يخفّف سئم وبئس، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ [البقرة:258]. ويقوي ثبات الهمزة قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:130]، فهذا يدلّ على أن الهمزة ثابتة في إلياس بثبوتها في (إلياسين).

(1) المفهوم من ظاهر الآيات أن أتباعه كثير، فقد جاء في القصة قوله سبحانه: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

(2) البقاعي، نظم الدرر (16/ 283).

القـراءة الثانية:قرئت (وإن الياس) بغير همز، بوصل الهمز، وهي قراءة ابن عامر وابن محيصن وأبي رجاء والأعرج وقتادة(1).

أما القراءة الثالثة: (وإن إيلِياس)- بهمزة مكسـورة وياء سـاكنة بعدها لام مكسورة وياء ساكنة وسين مهملة مفتوحة فليست بقراءة متواترة، وهي قراءة أُبي بن كعب(2)، ولفظها قريب من (إيليّا) في العهد القديم.

أما (إلياسين) فقد جاءت فيها قراءتان متواترتان:

الأولى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ بكسر الهمـزة وسـكون الـلام موصولـة بـ(ياسـين) فجعلوهـا كلمـة واحـدة، وهـي قـراءة الجمهـور، إلا أن حفصًا تفـرّد بروايته عن عاصم بقراءة (إل ياسـين)- بهمزة مكسـورة ولام سـاكنة مفصولة(3).

وعـلى هذه القراءة يرى البعض أنه اسـم له(4)، قال الزجاج: يقال ميكال وميكائيـل ومكائـين، فكذا ههنا إلياس وإلياسـين(5)، فالعـرب تلحق النون في أسـماء كثـيرة وتبدلهـا من غيرهـا كما قالوا إسـماعيل وإسـماعين وإسرائيل

---

(1) أبـو علي الفـارسي، الحجة للقـراء السـبعة (5/ 59-60)، ابن جنّي، المحتسـب في تبيين وجوه شواذ القراءات (3/ 223)، أبو بكر بن مجاهد، السبعة في القراءات، (ص548).
(2) تفسير ابن عطية (4/ 484)، البحر المحيط (7/ 358)، تفسير البيضاوي (5/ 25).
(3) ابـن خالويـه، الحجـة في القـراءات السـبع (ص303)، أبـو بكـر بـن مجاهد، السـبعة في القـراءات (ص548، 549)، أبو الطاهر، العنوان في القراءات السـبع (ص162)، ابن زنجلة، حجة القراءات (ص610).
(4) تفسير ابن عطية (4/ 484).
(5) تفسير الرازي (26/ 141).

وإسرائين[1]، ولعل لزيادة الياء والنون في السرُّيانية معنى[2]، واختار هذه اللغة هنا رعاية للفواصل[3].

قال الفراء: «وقد يشهد عَلَى صواب هَذَا -يقصد قراءة (إلياسين)- قوله: ﴿مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ [المؤمنون:20] ثم قال في موضع آخر: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين:2] وهو معنى واحد وموضع واحد[4]».

وهو ما نصره الطبري بقوله: «يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله: (سَلامٌ)، فإنه سلام على النبي الذي ذُكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله[5]». ومراده أننا إذا وضعنا القصص المتتابعة الواحدة إلى جنب الأخرى نرى أنّ سلام الله في تلك الآيات مرسل إلى الأنبياء الذين تطرّقت إليهم الآيات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾- ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

وطبقًا لذلك فإنّ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ تعني السلام على إلياس وحده فقط. وهو ما جزم به (المصطفوي) من أن المراد من كلمة- إِلْ ياسِينَ- هو إلياس المذكور قطعًا، والأقوال الأُخر في هذا المورد خلاف نظم الآيات وظاهرها[6].

(1) ابن كثير، قصص الأنبياء (2/ 246).
(2) تفسير الزمخشري (4/ 60).
(3) تفسير الألوسي (23/ 141).
(4) الفراء، معاني القرآن (2/ 392).
(5) تفسير الطبري (21/ 101).
(6) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم (1/ 141).

واختار أبو عبيدة هذه القراءة، وقال: «إلياسين اسم إلياس، مثل إبراهام في إبراهيم، ألا تراه أنه لم يقل في شيء من السورة على آل فلان وآل فلان، إنما جاء بالاسم، وكذلك إلياسين[1]».

وقد عقّب النحّاس على أبي عبيدة بقوله: «وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو، وهو غير لازم لأنّا بيّنا قول أهل اللغة: إذا سلّم على آله من أجله فهو مسلّم عليه». ثم قال: «والقول بأن اسمه (إلياسين) يحتاج إلى دليل ورواية، فقد وقع في الأمر إشكال، كان الأولى اتباع الخط الذي في المصحف وفي المصحف ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ بالانفصال فهذا ما لا إشكال فيه[2]».

وبعضهم يعتبرها جمعًا بمعنى (إلياسيين)، وطريقة ذلك أن (إلياس) أُضيفت إليها (ياء) النسب فأصبحت (إلياسي)، وبعد ذلك جمعت بإضافة الياء والنون إليها فأصبحت (إلياسيين)، فحُذِفَتْ أولاهما لالتقاءِ السَّاكنين، فصار (إلياسين) كما ترى[3].

القراءة الثانية: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ بإضافة لفظ (آل). بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة إلى لفظ (ياسين)، فجعلوها كلمتين، وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب ورويس[4]. وحجتهم أنها في المصحف العثماني

---

(1) أبو عبيدة، مجاز القرآن (2/ 172، 173).
(2) النحاس، إعراب القرآن (3/ 295).
(3) السمين الحلبي، الدر المصون (9/ 329).
(4) أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع (187)، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (2/ 360)، ابن مجاهد، السبعة في القراءات (ص549).





مفصولة من ياسين، ففيه نوع تأييد لهذه القراءة[1].

وفي توجيه هذه القراءة أقوال أرجحها أنه جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم على آله؛ أي: أهل دينه ومن كان على مذهبه[2].

والذي أميلُ إليه أنه لا مانع من الجمع بين المعنيين، وأنه لا يوجد بينهما تضاد؛ فالله سبحانه سلّم على إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسلّم كذلك على آله وهم أتباعه من المؤمنين، خصوصًا وأن القاعدة التفسيرية تنصُّ على أنَّ منزلة القراءة من القراءة بمنزلة الآية من الآية[3].



(1) أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة (6/ 61) وما بعدها، تفسير الألوسي (12/ 135).

(2) ابن الجوزي، زاد المسير (7/ 82).

(3) لمزيد النظر في هذه القاعدة: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (13/ 391-392)، الزركشي، البرهان (1/ 326)، الشنقيطي، أضواء البيان (2/ 8)، خالد السبت، قواعد التفسير (1/ 88)، مساعد الطيار، فصول في أصول التفسير (ص128).

المطلب الثاني

حقيقة شخصية إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

يفهم الناظر من خلال قراءة النصّ القرآني أن (إلياس) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو (إلياس)، وليس ما سواه من شخصيات الأنبياء أو الصالحين، ومع ذلك فقد ذكر البعض أنه ليس إلا اسمًا آخر لشخصية أخرى، ومن ذلك:

(أ) يعتقد البعض أنّ «إلياس» هو إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ فكلمة إدريس، تلفظ إدراس، وطرأت عليها تغيّرات في بنية الكلمة فأضحت إلياس. أو أن إلياس اسم آخر لإدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أو أنه لقب له[1]، وهو قول ابن مسعود[2]، وقال به قتادة[3] والضحاك بن مزاحم، وعكرمة، وعياض ومحمد بن إسحاق ورواية لابن عباس[4]، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الصافات:123]،

---

(1) وعلى هذا القول يمكن أن يكون رفع إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم:56-57] هو رفع لإلياس، ويحتمل بذلك أنه لم يمت وأنه رفع وسينزل في آخر الزمان إعدادًا لنزول عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما ذكر أهل الإنجيل (إنجيل متّى، إصحاح 16 مقطع 3-12)، وهو قول لا دليل يثبته من القرآن أو السنة.

(2) أخرجه عنه ابن أبي حاتم بسند حسن، قال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن عبدالله بن مسعود. (تفسير ابن كثير 4/ 20). وذكره البغوي في تفسيره (4/ 36) عن ابن مسعود، وكذلك: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (2/ 380)، تفسير القرطبي (15/ 115).

(3) أخرجه الطبري في تفسيره (21/ 95) عن قتادة.

(4) تفسير ابن عطية (4/ 483)، السيوطي، الدر المنثور (5/ 537)، تفسير ابن كثير (4/ 20)، تفسير الثعالبي (4/ 24)، تفسير البغوي (4/ 36)، ابن حجر، فتح الباري (6/ 375).

روي عـن عبد الله بن مسـعود قال: إليـاس هو إدريـس، وفي مصحفه (وإن إدريس لمن المرسلين).

وقـد يرى البعض أن ابن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى العكـس وهو أن إدريس هـو إليـاس ففي قولـه تعـالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:56]، روى ابن أبي حاتم بسـند حسّنه السيوطي عن ابن مسعود أنه قال: إنـه إليـاس بعث إلى قومه أن يقولـوا: لا إله إلا الله ويعملوا ما شـاءوا، فأبوا وأهلكوا[1]. فلا نعرف بالضبط هل رأي ابن مسـعود أن إدريس هو إلياس؟ أم أن إلياس هو إدريس؟ قال القرطبي: «وروي عن ابن مسعود قال: إسرائيل هو يعقـوب، وإلياس هو إدريس. وقرأ: (وإن إدريس) وقال عكرمة: هو في مصحف عبد الله [يعني ابن مسعود] (وإن إدريس لمن المرسلين) وانفرد بهذا القول»[2]. قال الألوسي: والمسـتفيض عنه أنه قـرأ كالجمهور[3]. ولعلّ هذه قراءة تفسيرية من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4] كما كان يقرأ بذلك في آيات أخرى.

(ب) مجموعة من المفسّرين اعتبرت (إلياس) هو الخضر[5].

ومنهم من رأى أنه صاحب للخضر وصديق له، وأنّ كليهما ما يزال حيًّا، وبعـض هؤلاء يرى أنّ إلياس موكّل بالفيافي والقفار، والخضر موكّل بالجزر

(1) تفسير الألوسي (16/ 105)، تفسير البغوي (4/ 36).

(2) تفسـير القرطـبي (15/ 115)، وانظـر: تفسـير الطـبري (7/ 261)، تفسـير المـاوردي (5/ 64)، تفسير البغوي (4/ 36)، ابن الجوزي، زاد المسير (7/ 79).

(3) تفسير الألوسي (23/ 139).

(4) وهو الذي رجحه أبو حيان، البحر المحيط (9/ 121).

(5) النحاس، إعراب القرآن (3/ 294).

والبحـار[1]، وكل هؤلاء -وأغلبهـم من المتصوفة- يقولـون بخلود الاثنين في الدنيـا، وأنهما آخر مـن يموت من بني آدم، وكان الحسـن يقول: قد هلك إلياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس[2].

(جـ) والبعض يرى أنّ إلياس هو (اليسع). وضعف هذا القول القرطبي بقوله: «وتوهم قوم أن اليسـع هو إلياس، وليـس كذلك؛ لأن الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر»[3].

(د) وجـوّز قـوم أن يكون هو إلياس بن مضر جدّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ[4]. وهو قول بعيد النجعة.

ولكن الذي يتناسـب مع ظاهر الآيات هو أنّ هذا الاسم اسم أحد أنبياء الله غـير تلك الأسـماء التـي وردت في القرآن المجيـد، وأنّه بعـث لهداية قوم يعبـدون الأصنام، فكذّبـه أكثر القوم، عـدا مجموعة مـن المؤمنين المخلصين الذين صدّقوه.

كـما أن إلياس هو نفسـه (إيلياء) النبي المذكور في التـوراة، والذي عاصر الملك (آجاب) الطاغية المتجبر[5].

---

(1) تفسير النيسابوري (5/ 575)، التفسير المظهري (8/ 142).
(2) تفسير النيسابوري (5/ 575).
(3) تفسير القرطبي (7/ 33).
(4) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 197).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 166).

المطلب الثالث

مكان مولــده

لم يتطرق مؤرخو المسلمين ولا مفسّرو القرآن العظيم إلى مكان مولد النبي إليـاس عَلَيهِ السَّلَامُ في كتبهم، فمكان مولده ليس معروفًا على وجه التحديد، كما أنه لم يُذكر في الكتب السابقة (العهد القديد والجديد) مع اهتمام أسفار التوراة بذكر تفاصيل أماكن مولد أنبيائهم.

وغايـة ما ورد في العهد القديم تلك الإشـارة بوصفه في الكتاب المقدس بـ(التِّشْـبِيِّ) في سـبعة مواضع[1]؛ وذلك نسبة إلى تِشْـبة[2] في بلاد جِلْعَاد[3]؛ فاسمه (إلياس) ولقبه (التِّشْبِيّ).

---

(1) (1 ملوك 17: 1، 21: 17، 21: 28، 2 ملوك 1: 3، 1: 8، 9: 36).

(2) الأصل في تِشْـبة أنها من جِلْعَاد كما في النصّ، ولكن زعم بعض مفسري الكتاب المقدس أنهم لم يجدوا لها اسـمًا قريبًا في آثار جلعاد، ونسـبوا (تِشْبة) إلى ما ورد في التوراة في موضع آخر وأنها Thisbe التي تقع في شـمال الجليل جنوب قادش نفتالي -أي المنسـوبة إلى سـبط نفتـالي- (موقع: شرح الكتـاب المقدس - الأنبا مكاريوس الأسـقف العام - طوبيت 1 - تفسـير سـفر طوبيا http://st-takla.org، بتاريخ 28/ 12/ 1438هـ). وإن صحَّ هذا -وفي هـذا نظـر- فيكون إيليا قد ولد هناك ثم استـوطن بعد ذلـك جلعاد. ولكن أغلب مؤرخي أهل الكتاب يقولون أنّ تِشْبةمن جِلْعَاد، والتي هي بلاد الكنعانيين (القس داود لمعي، حياة إيليا، ص110).

(3) تحمل جِلْعَاد معنى واسـع في التوراة يشـمل كل المنطقة شرق الأردن (سفر التثنية 34: 1، سـفر يشـوع 22: 9، سـفر القضاة 20: 1، سـفر صموييل الثاني 2: 9، 1). أما في العصر الحـاضر فهي قريـة أردنية من قرى محافظة البلقاء.[موقـع (إرث الأردن): http://jorda-heritage.jo/jelaed/، بتاريـخ 4/ 7/ 2018م]. ونجـد ارتبـاط إيليا بشـمالي جِلْعَاد - على الضفة الشرقية للأردن في القصة المذكورة في سفر الملوك الأول (17: 2 7) عن إقامته عند نهـر كريت شرقـي الأردن ليختبئ من أعدائه؛ إذ يرجح الآن أن نهر كريت هو المعروف =

ويتهـرّب بعض مفسّري الكتـاب المقدّس من تفسـيرها بالمعنى الواضح وهو أن أصل (إلياس التِّشْـبِيِّ) من جِلْعَاد بلاد الكنعانيين، فيرى بعضهـم أن معنى (التِّشْـبِيِّ) الغريب؛ وذلك لأنه اسـتوطن بـلاد الكنعانيين وهو غريب عنهـا[1]، إلا أن بنيـة الكلمة لا يمكـن أن تخدم هذا التفسـير. خصوصًا وأن النصّ جاء صريحًا: [إيليا التِّشْبِيِّ من مستوطني جِلْعَاد].

أمّـا المؤرخ اليهـودي (يُوسِـيفوس) فيرى بـكلّ وضوح أنـه مواطن من جِلْعَـاد وليس غريبًـا عنها[2]. وقد بالغ بعض الباحثـين في موطنه حتى قال: «ولد إيليا في جبال الأردن وانتقل إلى السـماء من الأردن على الضفة الشرقية للنهـر المقدس، لقـد كان قطعا نبيًّا أردنيًّا!![3]». إلا أن النصارى يعتقدون أن مسـقط رأسه كان في موقع (مار إلياس)، وهي الآن كنيسة على تلّ، تطلّ من الجهة الغربية على بَيْسان وطَبَرِيّا وجبل الشيخ[4].

=الآن (بـوادي اليابـس) في مرتفعـات جلعـاد، والـذي يقع حاليًا إلى الشـمال مـن مدينة عجلـون- الأردن، بدلًا من القول بأنه (وادي القلط) الممتد من قرب أورشـليم إلى أريحا ثم إلى نهر الأردن.

(1) موقع: تفسير الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص تادرس يعقوب .http://st-takla.org، بتاريخ 14/ 9/ 2017م، وبعد التخبّط في أصل إلياس قال معلقًا: تبقى سـيرة إيليًّا النبي تؤكّد عبر الأجيال ألّا نبحث عن أسرة الإنسـان وأسـلافه، بل عن شخصه وحياته وأفكاره وتصرُّفاته.

(2) *The Antiquities of the Jews. Flavius Josephus. translated by William Whiston. New York: Hendrickson. 1980. 355. Ant. 8:13. 2*

(3) فادي شـوكت حـداد، النبي إيليا وتل مـار إلياس (إيليا)، موقع أبونـا: يصدر عن المركز الكاثوليكي للدراسـات والإعلام - الأردن: http://www.abouna.org/content، بتاريخ 21/ 7/ 2015م

(4) نجاة سـليم محاسـيس، السـياحة في الأردن رحلـة تأثر القلوب، زهـران للنشر. كما يجدر التنبيه إلى أن المسيحيين يحجون سنويًّا إلى موقع مار إلياس في يوم 21/ 7 من كل عام.

وقد كشفت التنقيبات الأثرية في الأعوام 1999م و 2001م عن آثار موقع يسمى (دير مار إلياس)، وزعموا أنه المكان الذي صعد منه النبي إيليا إلى السماء، ويقع الموقع في الأردن على بعد 12كم شمال غرب مدينة عجلون[1]، وكما يعتقد أيضًا بأن قرية (لِسْتب) التي تقع على بعد نصف كيلومتر إلى الغرب من موقع الكنيسة هي بالأصل منطقة (تِشْبة) التي ورد ذكرها في كتاب العهد القديم وتمثل مسقط رأس النبي إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[2].
ولم يعثر بعض علماء الآركيولوچيا والآثار على دلائل تشير إلى الاستيطان في فترة العصر الحديدي[3]، مما دعا بعضهم إلى الإشارة لموقع (أم الهيدموس) القريب من التل ليكون مرشحًا كموقع لقرية (تشبى) الكتابية، وهناك تم العثور على دلائل تعود للعصر الحديدي (فترة إيليا)[4].

(1) موقع ويكيبيديا: كنائس-مار-إلياس https://ar.wikipedia.org/wiki/، بتاريخ 2/ 1/ 1439هـ.
(2) موقع عجلون الإلكتروني: http://ajlune.tripod.com/marelyas.htm. بتاريخ 2/ 1/ 1439هـ.
(3) العصر الحديدي فترة من فترات التاريخ بدأت فيما بين 1500 و 1000ق.م؛ حيث انتشر استخدام الحديد في صناعة الأدوات والأسلحة واستمر استخدامه منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا. [موقع: المعرفة: https://www.marefa.org، بتاريخ 23/ 1/ 2018م].
(4) فادي شوكت حداد، النبي إيليا وتل مار إلياس (إيليا)، موقع أبونا: يصدر عن المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام - الأردن: http://www.abouna.org/content، بتاريخ 21/ 7/ 2015م.

المطلب الرابع

موطن دعوته وبعثته

يميل بعض المؤرخين من أهلِ الكتاب إلى أن إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعث بعد تشتت دولة بني إسرائيل، وبالتحديد بعد سُليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ اعتمادًا على تسلسل الأحداث في سفر الملوك الأول، وكان ذلك قرابة القرن التاسع قبل الميلاد، وذلك بسبب صراع ملوكهم وعظمائهم على السُلطة، وما وصلوا إليه من الكفر والضلال الذي دخل عليهم من الأمم الأخرى، وقد سمح الملك أخاب لزوجته الوثنية إيزابيل بنشر عبادة قومها في بني إسرائيل، وكان قومها عبادًا للأوثان فشاعت العبادة الوثنية(1).

وعلى كل حال، فالذي يهمّنا هو أن (إلياس) عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أُرسل بدعوته إلى السكان القاطنين بتلك المنطقة وليس إلى بني إسرائيل، وهذا ما تدلّ عليه الآيات القرآنية في قصّته الواردة بسورة الصافات: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ

(1) بحسب رواية التوراة أن الملكة إيزابيل وهي فينيقية الأصل، لما تزوجت آخاب انطلقت إلى السامرة وأخذت معها صنم البعل وصنم عشتاروت بصحبة 450 كاهنًا وثنيًّا يأكلون ويشربون على مائدتها، ويقيمون شعائر عبادة الأوثان خلافًا لشريعة التوحيد التي سنها النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في بني إسرائيل، وإيزابيل تمادت في الشر وقتلت ما استطاعت من كهنة الرب (3 ملوك 22: 39).

﴿عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: 123-132].

ومن الآيات نستخرج التفسير التالي:

1. إلياس: اسم عربي على الصحيح[1] من أصول اللغة القديمة لدى الكنعانيين، وقد كان اسم جدّ النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ السادس عشر (إلياس ابن مضر بن نزار). والصحيح أنه مشتق من قولهم: رجل أَلْيَس: أي شجاع، والأَلْيَس: الذي لا يفرُّ ولا يبرح من مكانه، وهذا يقتضي أنه عربي[2].

2. في قوله سبحانه: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾: لم تبيّن الآيات أصل هؤلاء القوم، ولو أراد الله بني إسرائيل لذكر اسمهم صُراحًا -كما هي عادة القرآن- ولكنها ألمحت إلى أنهم يعبدون (البعل)، فعُلم بذلك أنهم أهل (بَعْلَبَكّ) وما حولها، ممّن عبدوا البعل ابتداءً لا بالتبعيّة.

3. البَعْل: باتفاق المؤرخين أنه أحد آلهة كنعان من العرب، وإليه نسبت مدينة (بَعْلَبَكّ)[3] التي كان يقطنها الكنعانيون، فتحذير النبي لهم من عبادة هذا الصنم بالذات، دليل على أنهم هم المخترعون لعبادته بالأصالة، بينما كان بنو إسرائيل يعبدونه بالتّبع والتقليد، هو وغيره من آلهة الأمم المجاورة لهم، كما أن لفظة (بَعْل) أصلها عربية يمنية، بمعنى: الرب[4].

---

(1) الزبيدي، تاج العروس (15/ 404) مادة (ألس).
(2) الرضي الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب (4/ 305-307).
(3) الطبري، جامع البيان (21/ 97)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (4/ 484).
(4) الطبري، جامع البيان (21/ 96).

4. في قولـه سـبحانه: ﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: ذكّرهـم بآبائهـم لشـدّة احترامهـم لهم، وهنالـك أدلّة تشـير إلى أن الفينيقيين كانـوا يعتقدون بحيـاة بعد المـوت. فقد كانوا يعتنـون بموتاهـم غاية الاعتنـاء فيدفنوهم في مغاور اصطناعية ويضعون في القبر المأكولات والمشروبات بأوان خزفية. كما كانوا يدفنون مع الميت أغلب ممتلكاته من حليّ وأسـلحة[1]، أما بنو إسرائيل فلم يكن لهم أدنى احترام لمكانة آبائهم.

5. في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: فيه دلالة على أن من قومه من لم يكذّبه وكانوا مؤمنين بدعوته، عاملين بموجب الإرشاد من بعده[2]. فأين هـؤلاء الموصوفين بتلك الصفات العليّة من قـوم بُهْت كبني إسرائيل. كما أن قراءة (آل ياسـين)[3] –وهي قراءة متواترة– في قوله سـبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات:130] تدلّ على فضيلة جماعة أسـلموا، وحسن إسلامهم، فآل ياسين هم أهل دينه ومن كان على مذهبه[4].

6. قراءة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآحادية الشاذّة: (وإن إدريس لمن المرسلين) بـدلًا من إلياس، وعنه أيضًا: (سـلام على إدراسـين)[5]، وقد قال جماعة من

---

(1) الموسـوعة الفلسـطينية، موقـع إلكـتروني: https://www.palestinapedia.net/، بتاريـخ: 18/1/2018م.
(2) حقّي، روح البيان (12/ 55).
(3) وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب، [أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، (ص187)، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (2/ 360)؛ ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر (ص539).
(4) ابن الجوزي، زاد المسير (7/ 82).
(5) ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن (ص128)؛ الكرماني، شواذ القراءات (ص407)، =

العلماء منهم أحمد بن حنبل أن إلياس هو إدريس[1]، وإدريس بالاتفاق ليس من بني إسرائيل.

7. المتبادر للذهن في النصّ القرآني أن الإنكار متوجّه لقومه الذين اخترعوا عبادة البعل بالأصالة، لا من عبدوها تقليدًا، وإلا فإن إلياس سيكون الأولى به أن يتوجه لإنكار التقليد، كما قال موسى من قبل: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٤٠]، ونُلاحظ في الآيات السابقة أن موسى لم يذكر لبني إسرائيل اسم الصنم الذي قلّد بنو إسرائيل القوم في عبادته؛ لأن الإنكار متوجه للتقليد الوثني الأعمى، مع أن بعض العلماء يرى أن الصنم

=ونسبها الكرماني لابن مسعود ويحيى والأعمش، وزاد عن الأعمش: (سلام على إدريسين).

(1) حقّي، روح البيان (12/ 50)، ومما يستدل به في هذه القراءة أن إدريس كان بعد نوح، وقد اشتهر عند كثير من المؤرخين أن إدريس قبل نوح، وهذا غير صحيح، بهذه القراءة، ولأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء:163]، وإدريس من النبيين، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ إلى أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ [مريم:56-58]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الحديد:26]، وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة «**أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض**»، فلا رسول قبل نوح إلا آدم فقط. ولذلك قال ابن العربي: «ومن قال من المؤرخين: إن إدريس كان قبله فقد وهم» أحكام القرآن، (1/ 567).

المقصود في إنكار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو (البعل)، قال ابن عاشور: «والقوم هم الكنعانيون: ويقال لهم عند العرب: العمالقة، ويعرفون عند متأخري المؤرخين بالفينيقيين، والأصنام كانت صور البقر، وقد كان البقر يعبد عند الكنعانيين، أي الفينيقيين باسم (بعل)[1]».

8. جاءت قصص الأنبياء في سورة الصافات متفرقة، وكأن السورة أشارت إلى كلّ أمة بنموذج واحد، فقد جاءت القصص مرتبة كالتالي: قصة نوح – قصة إبراهيم – قصة موسى وهارون– قصة إلياس – قصة لوط – قصة يونس، عليهم جميعًا الصلاة والسلام. ومما يلاحظ أن قصة إلياس أعقبتها قصة لوط وهو ليس من بني إسرائيل، ثم قصة يونس، وهو على الصحيح ليس من بني إسرائيل أيضًا.

9. جاء في الآيات الأخرى الواردة بسورة الأنعام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام:83-85]. ونلاحظ من الآيات أن الله نسبه إلى ذرية نوح وليس لذرية إبراهيم عليهما جميعًا السلام: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (9/ 80).

وحتى على قول من قال أنهم من ذرية إبراهيم[1] فالمقصود هنا أنه ليس من ذرية يعقوب (إسرائيل)، وأما الاحتجاج بدلالة اقتران اسم (إلياس) باسم: زكريا ويحيى وعيسى عليهم جميعًا السلام - وكلهم من بني إسرائيل - في إنزال حكم أنه من بني إسرائيل كذلك، فجوابه من وجهين:

الأول: أن تلك الدلالة ضعيفة عند أهل الأصول، وقد ذهب الشافعية وأكثر المالكية والحنابلة إلى إنكار دلالة الاقتران، وأن الاقتران في اللفظ لا يوجب القران في الحكم، وهو قول الجمهور[2].

الثاني: أن منطوق الحكم الصريح هو انتظامهم جميعًا تحت (ذرية نوح)، وأنهم (من الصالحين)، ودلالة النصّ في كون الأربعة المذكورين (من الصالحين)، وأن إفرادهم بالذكر للإشادة بصلاحهم ووصفهم بما يرفع شأنهم أقوى وأولى من دلالة النسب التي تنقضها الآية التي تليها: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:86].

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (1/ 136)، ونسب هذا القول للزجاج، واعترض عليه بأن فيهما يونس ولوطًا وما كانا من ذرية إبراهيم عليهم جميعًا السلام.

(2) عبد المجيد جمعة الجزائري، اختيارات ابن القيم الأصولية (2/ 494).

المبحث الثاني

إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند أهل الكتاب

ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: نسب إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

المطلب الثاني: نقد المرويّات الإسرائيلية.

المطلب الثالث: (إيليا) في أسفار أهل الكتاب.

المطلب الأول

نسب إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

لم يرد في أسفار العهد القديم ذكرٌ لنسب إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بل لا يعرفون والديه؟ فقد ظهر في التاريخ فجأة، ولم تحدد التوراة أصل (إيليا) العائلي، ولا من أين جاء؟ بل كان ظهوره فجأة على مسرح الأحداث دون مقدمات، ولا يعرفون حتى مكان مولده[1].

وربما تكون شخصية النبي إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هي الشخصية الوحيدة الغامضة بالنسبة لأهل الكتاب، والذي زادهم عيًّا في ذلك ما ورد من نسبته في الكتاب المقدس بـ(إلياس التّشبي) في سبعة مواضع[2]؛ وذلك نسبة إلى تشبة[3] من بلاد جلعاد[4].

---

(1) القس داود لمعي، حياة إيليا والخدمة النارية (ص12).

(2) (1 ملوك 17: 1، 21: 17، 21: 28، 2 ملوك 1: 3، 1: 8، 9: 36).

(3) الأصل في تشبة أنها من جلعاد كما في النصّ في سفر الملوك: [إيليا التشبي من مستوطني جلعاد]، ولكن زعم بعض مفسري الكتاب المقدس أنهم لم يجدوا لها اسمًا قريبًا في آثار جلعاد، ونسبوا (تشبة) إلى ما ورد في التوراة في موضع آخر وأنها Thisbe تقع في شمال الجليل جنوب قادش نفتالي -أي المنسوبة إلى سبط نفتالي-. (موقع: شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - الأنبا مكاريوس الأسقف العام - طوبيت 1 - تفسير سفر طوبيا http://st-takla.org، بتاريخ 28/ 12/ 1438هـ). وإن صح هذا -وفي هذا نظر- فيكون إيليا قد ولد هناك ثم استوطن بعد ذلك جلعاد. ولكن أغلب مؤرخي أهل الكتاب يقولون أن تشبة من جلعاد والتي هي بلاد الكنعانيين (حياة إيليا، القس داود لمعي، ص110).

(4) تحمل جلعاد معنًى واسعًا في التوراة يشمل كل المنطقة شرق الأردن (سفر التثنية 34: 1، =

ويُسمّى (إيليا) في النصِّ العبري للعهد القديم (إيلياهو)، وكلاهما بمعنى: الرب هو إلهي[1]. أما في أغلب النسخ المتأخرة المترجمة فيسمى (إيليا)[2].

أما المؤرخون المسلمون فقد اجتهدوا في معرفة نسبِهِ، واختلفوا على أقوال، من أهمها:

★ أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، وهو ما رواه ابن إسحاق عن وهب بن منبه[3]. وفوق أن السند ضعيف إلى وهب، فهو مما ليس له ذكر في أسفار أهل الكتاب.

★ وقد جاء في رواية الكلبي ترتيب آخر، فهو: إلياس النشبي بن العازر بن هارون ابن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعلّق عليه ابن كثير بأن فيه نظر[4].

★ وقيل إنه من سبط يوشع، وهو قول القُتَبِيُّ فيما حكاه عنه ابن عساكر[5]، والقرطبي[6].

=سفر يشوع 22: 9، سفر القضاة 20: 1، سفر صمويل الثاني 2: 9، 1). أما في العصر الحاضر فهي قرية أردنية من قرى محافظة البلقاء.(موقع ويكيبيديا: جلعاد https:///ar.wikipedia.org/wiki).

(1) القس داود لمعي، حياة إيليا والخدمة النارية (ص13)، وكذلك: ف.ب.ماير، حياة إيليا وسرّ قوّته، (ص14).

(2) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن (1/ 140).

(3) تفسير الطبري (21/ 95).

(4) تفسير ابن كثير (4/ 20).

(5) السيوطي، الإتقان (2/ 369)، والقتبي هو ابن قتيبة الدينوري.

(6) تفسير القرطبي (7/ 32)، الشوكاني، فتح القدير (2/ 136).

★ ولكن عطاء بن أبي رباح لم يجزم بسلسلة النسب المذكورة، وإنما يرى أنه: من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1]. بدون الإشارة هل هو من بني إسرائيل أو من بني إسماعيل.

★ وخالفهم الضحّاك؛ فهو يقول بأنه من ذرية إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[2].

★ أمّا الآيات القرآنية فلا تدلّنا إلا على شيء واحد، وأصلٍ عامّ لكلّ البشرية؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:84-86].

قال الواحدي: «والعلماء بالنسب يقولون: الكناية تعود إلى نوح؛ لأنه ذكر في جملة من عدّ من هذه الذرية يونس ولوطًا، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم»[3]. وهذا هو ما دلّت عليه الآية؛ فنخلص من ذلك أن من نسبه إلى بني إسرائيل فليس له مستمسك لا من رواية صحيحة، ولا نقل عن أهل الكتاب.

والسؤال المهم هنا: هل كان إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بني إسرائيل؟

تكاد تتفق كل الروايات والاجتهادات عند المفسرين على أنه كان من أنبياء بني إسرائيل، على خلاف بينهم في ترتيبه بين الأنبياء[4]. خلا من زعم

---

(1) الواحدي، الوسيط (2/ 294).

(2) تفسير القرطبي (7/ 39).

(3) الواحدي، الوسيط (2/ 295)، تفسير الطبري (7/ 261).

(4) بحسب ترتيب المؤرخين المسلمين للأنبياء، فإن (إلياس) جاء بعد (حزقيل) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، =

أن (إلياس) هو (إدريس) عَلَيْهِ السَّلَامُ. حتى قال الرازي: «وَأَمَّا أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1]». وقال البقاعي: «كان أحد بني إسرائيل عند جميع المفسرين إلا ابن مسعود وعكرمة[2]» وذلك لاعتقادهما بأنه إدريس، وإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس من بني إسرائيل اتفاقًا.

كما أن الرواية المشهورة عن وهب بن منبه أنه قال: كان القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دونه فبعث الله إليهم إلياس نبيًّا[3].

وهو ما اضطر جماعة من المفسرين بأن يلزموا أنفسهم بوجود سبط من أسباط بني إسرائيل كانوا قد استوطنوا في (بعلبك)، وعلى المشهور من الروايات الإسرائيلية أن الذي أسكنهم هو يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما فتح الشام، وكان من ضمنها المدينة المعروفة اليوم ببعلبك[4]، قسمها على بني إسرائيل، وأحل سبطًا منها ببعلبك ونواحيها، وهم السبط الذين كان منهم إلياس[5].

=و(حزقيل) قصته ذكرت مع ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ [البقرة:٢٤٣].

(1) تفسير الرازي (26/ 353).

(2) البقاعي، نظم الدرر (16/ 283).

(3) تفسير الطبري (2/ 596)، تفسير القرطبي (15/ 115)، السيوطي، الدر المنثور (1/ 750)، ابن الجوزي، زاد المسير (7/ 81)، تفسير البغوي (1/ 226).

(4) تفسير الألوسي (12/ 133)، تفسير القرطبي (15/ 115).

(5) البقاعي، نظم الدرر (16/ 283).

وبعكس الشائع في أوساط المفسرين الذين تلقوا هذه الروايات بالقبول، يميلُ الباحثُ إلى أن إلياس عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ لم يكُ من بني إسرائيل قط، وأن الصحيح أنه كان من قومه القاطنين بمدينة بعلبك.



المطلب الثاني

نقد المرويّات الإسرائيلية



هنـاك شـبه اتفـاق بـين المفسريـن إلى أنّ إليـاس عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مبعوثـًا إلى مدينة (بعلبك[1])، وهي إحدى مدن بلاد الشـام؛ لأنّ (بعل) هو اسـم ذلك الصنم و (بـك) تعني مدينة، ومن تركيب هاتين الكلمتين نحصل على كلمة (بعلبك)[2].

ومع اتفاقهم على أنه أُرسل إلى أهل بعلبك، فقد وقعوا في فخّ الإسرائيليات التي تكاد تتفق على أن إلياس إسرائيلي بعث إلى إسرائيليين مثله.

وسأضرب صفحًا عن كثير من المرويات الإسرائيلية التي هي في حقيقتها هشـيمٌ لا يقف أمام النقد الشرعي والتاريخي[3]، وأكتفي بالرواية المشـهورة

---

(1) **بعلبك:** هي من مدن لبنان الآن، وبالتحديد في شمال سهل البقاع وشرق نهر الليطاني، وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي 83 كم من ناحية الشـمال الشرقي. وهي قديمة البناء، فُتحت بصلحٍ أيَّامَ عمر (سنة14 هـ)، وكان لأهلها صنم يسمى (بعلًا) فسميت به، واسم الموضع (بَك). قال ياقوت: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة: مدينة قديمـة فيهـا أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أسـاطين الرخام لا نظـير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخًا. (معجم البلدان 1/ 453)

(2) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (10/ 521) عـن الضحـاك، وابـن زيـد، وكذلـك هو في تفسـير ابن أبي حاتم (10/ 3225)، وذكره ابن عطية في تفسـيره (4/ 484) وزاد نسبته للحسن.

(3) أكثر من أطال في سرد الرواية الإسرائيلية للقصة هو الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان (8/ 158-168)، ثـم نقلهـا عنه البغوي ملخصـة (7/ 52-58)، ثـم نقلها الخازن =

المنسوبة لوهب بن منبه، وقد جاءت بصيغ متعددة، ولكني أسرد رواية الطبري لها، وهي السند الوحيد في هذه القصة -على حدّ بحثي- إلى وهب بن منبه فقد قال الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه»، وفيها : «إن الله قبض حِزْقيل، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونسُوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس... إلخ[1]»، ولا أرغب بتسويد البحث بذكر الرواية بطولها ولكن ملخصها: أنه كان قد آمن به ملكهم ثم ارتدّ بسبب زوجته الوثنية، واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين. وأنه لما دعا عليهم بحبس المطر جهدوا جهدًا شديدًا، وقال لهم: إنَّكم قد هلكتم جهدًا وهلكت البهائم والشجر بخطاياكم فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فإن استجابت لكم فالأمر كما تقولون، وإلا علمتم أنكم على باطل فتتركونها فادعوا الله فيفرج عنكم، فقالوا: أنصفت ففعلوا فلم يستجب لهم فعرفوا ضلالهم، فقالوا: ادع الله لنا، فدعا فأرسل الغيث لكنهم بقوا على ما كانوا عليه من الضلال. إلى أن ختمت الرواية: «فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم، دعا ربه أن يقبضه إليه، فيريحه منهم، فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلى بلد

=ملخصة عن البغوي (4/ 25-26)، وقد نسبها الثعلبي إلى محمد بن إسحاق بن يسار والعلماء من أصحاب الأخبار. وساقها بالمعنى مطولة المظهري في تفسيره (8/ 134-142).

(1) تفسير الطبري (21/ 97-99).

كـذا وكذا، فـإذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب، حتـى إذا كان في البلد الذي ذُكر لـه في المكان الذي أُمر بـه، أقبـل إليـه فرس من نار حتـى وقف بين يديـه، فوثب عليـه، فانطلق به، فناداه اليسـع: يا إليـاس، يا إلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به، فكسـاه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسيًّا ملكيًّا أرضيًّا سَماويًّا». ويتضح من الرواية أنه رُفع إلى السماء، وأنه انتقل من حالته الإنسانية إلى الحالة الملائكية[1].

قال ابن كثيربعد أن سرد هذه الرواية في تفسـيره: «هكذا حكاه وهب بن منبـه عـن أهل الكتاب والله أعلـم بصحته[2]». وقال أيضًـا: «ففي هذا نظر، وهـو مـن الإسرائيليات التـي لا تصدق ولا تكـذب بل الظاهـرأن صحتها بعيدة والله أعلم»[3].

ولي وقفات مع هذا الإسناد:

أولًا: في الإسـناد رجلان مـن الضعفاء فلا تقبل راويتهـما وهما: محمد بن حميد التميمي الرازي[4]، ....

(1) البقاعي، نظم الدرر (16/ 283).
(2) تفسير ابن كثير (4/ 21).
(3) قصص الأنبياء (ص349).
(4) محمـد بـن حميد بـن حيـان التميمي، أبـو عبـد الله الـرازي ت (248هـ)، وثقـه بعضهم كأحمـد بن حنبل وابن معين، والأكثر على تضعيفه؛ مثل أبي زرعة وقال يعقوب بن شـيبة السـدوسي: محمـد بن حميد الـرازي كثير المناكير. وقـال البخاري: حديثه فيـه نظر. وقال النسـائي: ليس بثقـة. وقال إبراهيم بـن يعقوب الجوزجـاني: رديء المذهب غير ثقة. =

وسلمة بن الفضل الأبرش[1].

هذا مع أن ابن إسحاق[2] لم يسلم من الكلام فيه أيضًا. وقد قال عبدالرحمن

=وقال صالح بن محمد الأسدي الحافظ: كانت أحاديثه تزيد، وما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض. وقال أبو نعيم: سمعت أبا حاتم الرازي في منزله وعنده جماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم للحديث، فذكروا ابن حميد فأجمعوا على أنه ضعيف في الحديث جدًّا، وأنه يحدث بما لم يسمعه، وأنه يأخذ أحاديث لأهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين. [تهذيب التهذيب (9/ 127)، وتاريخ بغداد (2/ 259)، وميزان الاعتدال (3/ 49)، وشذرات الذهب (2/ 118)، وتذكرة الحفاظ (2/ 67)، تاريخ الإسلام (5/ 1221)، التاريخ الكبير (1/ 69)] قال الذهبي: وهو مع إمامته منكر الحديث، صاحب عجائب. ثم قال: قد أكثر عنه ابن جرير في كتبه. ووقع لنا حديثه عاليًا. ولا تركن النفس إلى ما يأتي به -فالله أعلم-. [سير أعلام النبلاء (11/ 505)].

(1) سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري مولاهم، أبو عبد الله الأزرق الرازي توفي بعد 190هـ، صاحب ابن إسحاق وراوي مغازيه وأشهر الرواة عنه، قال البخاري: عنده مناكير، ووسمه أبو زرعة بالكذب، وقال أبو حاتم: محله الصدق، في حديثه إنكار، لا يمكن أن أطلق لساني فيه بأكثر من هذا، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ضعيف. وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: يخطئ ويخالف. [الجرح والتعديل (4/ 168)، كتاب المجروحين (1/ 337)، تهذيب الكمال (11/ 305)، ميزان الاعتدال (3 / 192)، تهذيب التهذيب (4/ 153)، شذرات الذهب (1 / 328)]. إلا أن روايته للمغازي عن ابن إسحاق مقبولة عند المحدثين، يقول الذهبي: كان قويًّا في المغازي. [سير أعلام النبلاء (9/ 50)].

(2) محمد بن إسحاق بن يسار المدني القرشي المطلبي، صاحب المغازي، قال ابن المديني: ثقة، لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب. وثقه ابن المبارك وابن حبان وقال الدارقطني: اختلف الأئمة فيه، وليس بحجة، إنما يعتبر به. وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: صدوق. وهو مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين، وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما، وقال شعبة: صدوق، وقال أحمد: حسن الحديث، وقال ابن المديني: حديثه عندي صحيح، وقال ابن معين: ثقة، وليس بحجة، وقال النسائي: =

المعلمي في نقده لهذا الإسناد: «محمد بن حميد مُتّهم، وسلمة كثير الخطأ يأتي بمناكير، وابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع[1]».

ثانيًا: أن الإسناد إلى وهب جاء مضطربًا؛ فتارة يرويه ابن إسحاق عن وهب[2]؛ وتارة عن بعض أهل العلم؛[3] وتارة يرويه بإسقاط من روى عنه[4].

ثالثًا: حتى ولو صحّ الإسناد إلى وهب يبقى أنه في دائرة الإسرائيليات التي ينبغي أن تكون تحت مجهر النقد الشرعي والعقلي.

رابعًا: لم يخرج ما يرويه وهب عمّا هو في التوراة المحرّفة اليوم، والتي زادت تحريفًا بعد وفاة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيتضح لنا من ذلك أن نسبتهم نبي الله (إلياس) إلى بني إسرائيل، من الأغلوطات التاريخية التي زلّ فيها كثير من المفسّرين والمؤرخين، وهو فهم دخل عليهم من (الإسرائيليات) التي روت قصصًا عجيبة وغريبة لهذا النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

=ليس بالقوي، وكذبه مالك، ويحيى القطان، ووهيب بن خالد. (الجرح والتعديل (7/ 191-194)، تهذيب التهذيب (9/ 38)، تذكرة الحفاظ (1/ 163)، ميزان الاعتدال (3 / 468-475)، طبقات الحفاظ (ص75، 76)، تاريخ بغداد (1/ 214-234)، وفي مقدمة عيون الأثر لابن سيد الناس (1/ 7-17) أقوال في الطعن عليه، والدفاع عنه).

(1) إبراهيم بن سعيد الصبيحي، النكت الجياد (1/ 349).

(2) تفسير الطبري (21/ 97).

(3) المرجع السابق (21/ 97-98).

(4) المرجع السابق (21/ 98).

والـذي يميـل إليـه الباحـث أن (إليـاس) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بُعـث إلى قـوم مـن (الفينيقيـين)، وتسـمى المنطقـة التي تقـع فيهـا (بعلبك) ومـا حولها بأرض كنعان، وقد استخدم المفسرون لفظ الكنعانيين على كل المنطقة الواقعة في بلاد الشـام[1]، وكذلك اسـتخدمها مؤرخو ومفسرو العهد القديم[2]. وبحسب المؤرخـين فـإن الكنعانيين (الفينيقيين) اسـتقروا على سـاحل البحر الأبيض المتوسـط، وذلك حوالي منتصف الألف الثالث ق.م، وأطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيين، وظلوا يمارسون نشاطهم في هذه المنطقة حتى منتصف القرن الأول ق.م[3].

---

(1) الطـبري، تاريخ الأمـم والملوك (1/ 381)، ابن عاشـور، التحريـر والتنوير (15/ 16، 17)، تاريخ ابن خلدون (2 / 97).

(2) ابـن العبري، تاريخ مختصر الـدول (ص36)، لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى (ص34)، هامرتـن، تاريـخ العـالم (2/ 105)، فراس السـواح، آرام دمشـق وإسرائيل (ص92)، الصمادي، نقد النص التوراتي (ص248)، مصطفى كمال، سـيد فرج، اليهود في العالم القديم (ص66).

(3) عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، (ص272-273).

المطلب الثالث

(إيليا) في أسفار أهل الكتاب



شخصية (إيليا) -أي إلياس- جاءت لها قصص متعددة مروية في أسفار (العهد القديم)، وقد ورد ذكره في السفر الأول من أسفار الملوك حسب الطبعة البروتستانتية، والثالث حسب الطبعة الكاثوليكية، وما ورد في الآيات مقتضبًا قد ورد مسهبًا في الإصحاحات (16 و17 و18 و19) من السفر المذكور، وورد له ذكر قليل في الإنجيل أيضًا.

والذي نخرج به من مجموع هذه المرويات الباطلة والساقطة يجعلنا نجزم بعدم صحتها لأمور كثيرة، كما أن الوصف الوارد فيها لشخص (إيليا) يجعل القارئ يقف أمام شخصية أُسطوريّة لا يستوعبها عقل بشري سليم!

وإليك بعض النصوص التي تثبت ذلك على سبيل المثال لا الاستقصاء، ولعلّها من أهمّ ما يُسقط تلك المرويات، فهم يعتقدون التالي:

1. إيليا شخص عظيم له قداسة فوق الأنبياء، وهو أعلى رتبة من أولي العزم من الرسل؛ فقد جاء في سفر يشوع بن سيراخ: [وَقَامَ إِيلِيَّا النَّبِيُّ كَالنَّارِ، وَتَوَقَّدَ كَلاَمُهُ كَالْمِشْعَلِ. بَعَثَ عَلَيْهِم الْجُوعَ، وَبِغَيْرَتِهِ رَدَّهُمْ نَفَرًا قَلِيلًا. أَغْلَقَ السَّمَاءَ بِكَلَامِ الرَّبِّ، وَأَنْزَلَ مِنْهَا نَارًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. مَا أَعْظَمَ مَجْدَكَ، يَا إِيلِيَّا، بِعَجَائِبِكَ، وَمَنْ لَهُ فَخْرٌ كَفَخْرِكَ؟ أَنْتَ الَّذِي أَقَمْتَ مَيْتًا مِنَ الْمَوْتِ وَمِنَ الْجَحِيمِ، بِكَلَامِ الْعَلِيِّ... وَخُطِفْتَ فِي عَاصِفَةٍ مِنَ النَّارِ، فِي مَرْكَبَةِ خَيْلٍ نَارِيَّةٍ[1]].

---

(1) إصحاح: 48، المقطع:1-9.

2. يتّهم إيليا ربّه بالإساءة في أقداره، فبعد أن بارك إيليا طعام الأرملة وابنها: [وَبَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ مَرِضَ ابْنُ الْمَرْأَةِ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ جِدًّا حَتَّى لَمْ تَبْقَ فِيهِ نَسَمَةٌ... وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَأَيْضًا إِلَى الأَرْمَلَةِ الَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ بِإِمَاتَتِكَ ابْنَهَا؟» فَتَمَدَّدَ عَلَى الْوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا رَبُّ إِلهِي، لِتَرْجعْ نَفْسُ هذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ». فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ][1].

3. أنه يعيش منذ بدء الخليقة ثم رفع للسماء وسينزل في آخر الزمان، وأن إيليا يحرق بالنار من أراده بسوء، في حين أن أولي العزم من الرسل لم يصلوا إلى ذلك، بل كان غاية الإعجاز في نبي الله إبراهيم الخليل أن الله نجاه من نارهم. وإليك الرواية بعد أن أرسل إليه الملك من يطلبه: [فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسِ الْخَمْسِينَ: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. ثُمَّ عَادَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ آخَرَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ... فَنَزَلَتْ نَارُ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ[2]]. حتى قال ابن تيمية في معرض ردّه على النصارى: «فإن كان المسيح هو الأزلي الخالق أو كان متحدًا به فكيف لم ترجف بين يديه الجبال، ولم تتصرف عن مشيئته الأنهار والبحار، أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجلّ من آيات الأنبياء قبله مثل المشي على

(1) سفر الملوك الأول، إصحاح: 17، مقطع: 17-22.

(2) سفر الملوك الثاني، إصحاح: 1، مقطع 7-15.

متـون الهواء... وإحراق من قرب منه من الشـياطين والجـن، كما أحرق إيليا من قرب منه من جند آحاب الملك، ويمنع الآدميين من نفسه[1]».

4. أن لديـه القـدرة على إنزال المطر ومنعه، وإنبـات الأرض وجدبها من دون الرجـوع للخالق سـبحانه: [وَقَـالَ إِيلِيَّا التِّشْـبِيُّ مِنْ مُسْـتَوْطِنِي جِلْعَادَ لأَخْآبَ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي][2]. وفي نصّ آخر يطلب الله من إيليا إعادة المطر: [وَبَعْدَ أَيَّام كَثِيرَةٍ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى إِيلِيَّا فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ قَائِلًا: اذْهَبْ وَتَرَاءَ لأَخْآبَ فَأُعْطِيَ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ[3]].

5. إيليـا الـذي قتل أعداءه ولا يهاب؛ إذْ بـه يخاف من تهديد زوجة الملك ويهـرب بعيدًا؛ بل ويتمنى الموت: [فَأَرْسَـلَتْ إِيزَابَلُ رَسُـولًا إِلَى إِيلِيَّا تَقُولُ: «هكَـذَا تَفْعَلُ الآلِهَةُ وَهكَذَا تَزِيدُ، إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَـكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَحْـوِ هذَا الْوَقْـتِ غَدًا». فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ قَامَ وَمَضَى لأَجْلِ نَفْسِـهِ، وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَـبْعٍ الَّتِي لِيَهُوذَا وَتَرَكَ غُلاَمَهُ هُنَاكَ. ثُمَّ سَـارَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَسِـيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى وَجَلَسَ تَحْتَ رَتَمَةٍ وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ. خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي][4].

6. في آخر مطافه إيليا يصعد إلى السـماء في مشـهد خرافي داخل العاصفة عـلى ظهـر مركبة ناريّة وخيـل من نار، ولم يمُت إيليا بل هو بجسـده وروحه

(1) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، (4/ 111).
(2) سفر الملوك الأول إصحاح: 17، مقطع: 1.
(3) سفر الملوك الأول إصحاح: 18، مقطع: 1.
(4) سفر الملوك الأول، إصحاح: 19، مقطع: 2-5.

في السماء[1] بينما المسيح ابن مريم عند أهل الكتاب قد قتل ولم يرفع للسماء، وقبل انطلاقه للسماء يضرب الماء بردائه فينشق ويمشي على الأرض اليابسة، تقول القصة: [وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبِّ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ، أَنَّ إِيلِيَّا وَأَلِيشَعَ[2] ذَهَبَا مِنَ الْجِلْجَالِ...فَتَقَدَّمَ بَنُو الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي أَرِيحَا إِلَى أَلِيشَعَ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيِّدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ فَاصْمُتُوا»...وَانْطَلَقَا كِلاَهُمَا.فَذَهَبَ خَمْسُونَ رَجُلاً مِنْ بَنِي الأَنْبِيَاءِ وَوَقَفُوا قُبَالَتَهُمَا مِنْ بَعِيدٍ. وَوَقَفَ كِلاَهُمَا بِجَانِبِ الأُرْدُنِّ.وَأَخَذَ إِيلِيَّا رِدَاءَهُ وَلَفَّهُ وَضَرَبَ الْمَاءَ، فَانْفَلَقَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ، فَعَبَرَا كِلاَهُمَا فِي الْيَبَسِ... وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ.وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: «يَا أَبِي، يَا أَبِي، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا». وَلَمْ يَرَهُ بَعْدُ[3]].

7. إيليا يعود بعد مئات السنين مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليتجلى لعيسى بن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ولينصره؛ أمّا موسى فقد ظهر بروحه، وأمّا إيليّا فقد ظهر بجسده؛ لأنه لم يمت، وسيأتي إيليا مرة ثالثة قبل المجيء الثاني للمسيح في آخر الزمان لإعداد الناس[4]، وهذا مسطّر في العهد الجديد كما في إنجيل

(1) لمعي، حياة إيليا والخدمة النارية، (ص96 وص98)، وقد ذكر أسباب رفعه حيًّا للسماء: (ف.ب.ماير، حياة إيليا وسرّ قوّته، (ص134-135).

(2) زعم معظم مؤرخي الإسلام وطائفة كبيرة من أهل التفسير، أنه نبي الله (اليسع) المذكور في القرآن، وأنه كان خادمًا لإلياس.

(3) سفر الملوك الثاني، الإصحاح: 2، المقطع: 1-12.

(4) شرح الكتاب المقدس - العهد الجديد - القس أنطونيوس فكري- متى 17 - تفسير إنجيل متّى، موقع: http://st-takla.org، بتاريخ 1/ 1/ 1439هـ، وقد ذكر القس =



متّى: [وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ»... وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْصَاهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا: «لاَ تُعْلِمُوا أَحَدًا بِمَا رَأَيْتُمْ حَتَّى يَقُومَ ابْنُ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْوَاتِ». وَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «فَلِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ: إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلًا وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَلكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ(1)].

وفي سفر ملاخي: [هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلَّا آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ(2)].

8. اعتقد الحاضرون لصلب المسيح ابن مريم عليه السلام -كما زعموا- أنّ (إيليا) سيأتي ليخلّصه: [صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا»(3)].

★ ومن الطريف عند الرافضة أنهم جعلوا عليًّا رضي الله عنه هو ذات (إيليا)!

=داود لمعي أن سبب مجيئه؛ لأنه يمثّل جميع الأنبياء ويمثّل العزّاب! (حياة إيليا، ص104). ولو أننا صدقنا رواية لقاء عيسى بموسى وإلياس عليهم السلام جميعًا -وهي ليست ممنوعة شرعًا وعقلًا كحادثة الإسراء- لكانت دليلًا على أنهما يمثلان أمتين عاشتا في أرض الشام؛ فموسى عليه السلام عن بني إسرائيل، وإلياس عن الكنعانيين.

(1) إنجيل متّى، إصحاح: 16، مقطع: 3-12.

(2) سفر ملاخي، إصحاح: 4، مقطع: 5-6.

(3) إنجيل متّى، إصحاح: 26، مقطع: 46-50.

بنسخته في الديانة المحمّدية. وأن دابة الأرض التي ستخرج آخر الزمان[1] الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢] هي شخصية علي (إيليا) تنزّه الصحابة والأنبياء عمّا نسبه إليهم الكاذبون.

فإنهم يروون عن الأصبغ بن نباتة أنه قال: «قال لي معاوية يا معشر الشيعة تزعمون أن عليًّا دابة الأرض؟ فقلت: نحن نقول: اليهود تقوله، فأرسل إلى رأس الجالوت فقال: ويحك تجدون دابة الأرض عندكم؟ فقال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: رجل، فقال: أتدري ما اسمه؟ قال: نعم، اسمه إليا، قال: فالتفت إلي فقال: ويحك يا أصبغ ما أقرب إليا من علي»[2].

كما أنه قد جاء في الأخبار لديهم «أنه وفِد وفْد من بلاد الروم إلى المدينة على عهد أبي بكر وفيهم راهب من رهبان النصارى فأتى مسجد رسول الله

---

(1) في ذلك دلالة واضحة على أن الرافضة اغترفوا من اليهودية في معتقداتهم، ففضلًا عن مشابهتهم بعقيدة الرجعة وزعمهم أن إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 5/ 36) حتى قالوا من سخفهم أنه هو دابة الأرض إذ يخرج في آخر الزمان، فيَسِمُ الناس ويكلمهم. وقد جاء في تفسير القمّي ما نصه: «انتهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمير المؤمنين [أي: علي بن أبي طالب] وهو نائم في المسجد قد جمع رملًا، ووضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال له: «**قم يا دابة الله**»، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله: أيسمِّي بعضنا بعضًا بهذا الاسم؟ فقال: «**لا والله، ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه:** ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ثم قال: **يا علي: إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة، ومعك ميسم تسم به أعداءك**». تفسير القمي (2/ 130، 131). وكذلك ما يروونه عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ولقد أعطيت الست -وذكر منها- وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس» الصفار، بصائر الدرجات الكبرى (4/ 219-221).

(2) المجلسي، بحار الأنوار (29/ 244)، الصفار، بصائر الدرجات الكبرى (4/ 220، 221).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومعه إبلٌ موقرة ذهبًا وفضة وكان أبو بكر حاضرًا وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار. وقال لهم: أنا من بلاد الروم جئت منها ببختي موقر ذهبًا وفضة، لأسأل أمين هذه الأمة من مسألة إن أجابني عنها أسلمت، وبما أمرني أطعتُ، وهذا المال بينكم فرقت وإن عجز عنها رجعت إلى الوراء بما معي ولم أسلم، فقال له أبو بكر: سل عما بدا لك. -ثم تمضي الرواية في أن أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يستطيعوا الجواب- حينها قام سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأتى علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو جالس في صحنِ داره مع الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقصّ عليه القصة. فقام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وخرج ومعه الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حتى أتى المسجد، فلما رأى القوم عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، كبروا الله، وحمدوا الله، وقاموا إليه أجمعهم، فدخل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وجلس فقال أبو بكر: أيها الراهب سله فإنه صاحبك وبغيتك، فأقبل الراهب بوجهه إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم قال: يا فتى ما اسمك؟ قال: اسمي عند اليهود (إليا)، وعند النصارى (إيليا)، وعند والدي (علي)، وعند أمي (حيدرة)-وبعد أن أجاب على أسئلة الراهب تقول الرواية- فقام الراهب، وقطع زناره، وأخذ رأسه وقبّل ما بين عينيه، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأشهد أنك أنت الخليفة وأمين هذه الأمة، ومعدن الدين والحكمة، ومنبع عين الحجة، لقد قرأت اسمك في التوراة إليا، وفي الإنجيل إيليا، وفي القرآن عليًّا، وفي الكتب السابقة حيدرة، ووجدتك بعد النبي وصيًّا، وللإمارة وليًّا، وأنت أحقّ بهذا المجلس من غيرك[1]».

(1) الطبرسي، الاحتجاج (1/ 307-308)، وراجع أيضًا: ابن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا (1/ 141)، الطوسي، الأمالي (1/ 282)، المجلسي، بحار الأنوار (10/ 52).

المبحث الثالث

الفينيقيـــون



ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: التسمية والحضارة.

المطلب الثاني: الأصول الإثنية للشعب الفينيقي.

المطلب الثالث: بَعْلَبَكّ.

المطلب الأول

التسمية والحضارة

تـدلّ طبيعـة الآثار والنقـوش في بَعْلَبَكّ عـلى أن القوم القاطنـين فيها قد وفدوا في موجات متتابعة، واستقروا في أنحاء مختلفة منه، وأنهم أحد الأقوام الكنعانيـين، وكانت تلك الهجرات حوالي منتصف الألف الثالث ق.م، وقد استقرّ هؤلاء الكنعانيون على ساحل الإقليم السوري، وأطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيين، وظلوا يمارسون نشاطهم في هذه المنطقة حتى منتصف القرن الأول ق.م[1].

حـدود منطقتهـم: هي المنطقة التـي تمتد حاليًّا في المناطق السـاحلية من سوريا ولبنان وفلسـطين، ويمثل نهر الفرات الحدود الشمالية له، بينما يشكل جبل الكرمل حدها الجنوبي[2].

سبب التسمية: من المحتمل أن يكون الإغريق قد أطلقوا اسم الفينيقيين عليهم، نظرًا لوجوههم النحاسـية التي لفحتها الشـمس؛ فسعيهم المتواصل وراء الشـمس، دفـع البعض للاعتقاد بوجـود صلة خاصة تربـط الفينيقيين بأسـطورة طائر العَنْقَاء، الذي يسـعى للوصول إلى الشمس، فيحرق جناحيه ويولـد مـن جديد من رماده، مثـل طائر الفينيق. ولقد تجـول هؤلاء الملاحين

---

(1) عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، (ص272-273).
(2) عبد الحكيم، أطلس المملكة العربية السعودية والعالم (ص41-40).

على البحار بحثًا عن الثروة والمغامرة، فحرقت الشمس بشرتهم، فأطلق أيضًا عليهم اسم (الرجال الحمر) *Phoeniki* من كلمة *Phoinos* التي تعني بالإغريقية (الأحمر).

وأكثر ما ذكره الباحثون هو أن سبب التسمية نظرًا للون الصبغة الأرجوانية التي استخرجها الفينيقيون من بعض قواقع البحر[1]، فقد كان الفينيقيون أول من اكتشف اللون الأرجواني فاستخرجوه من أصداف المريق، وهي نوع من المحار وجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية. وقد أدخل الفينيقيون الصباغ الأرجواني على أقمشتهم فاشتهروا بصناعة الأقمشة الأرجوانية اللون. وتسمية الفينيقيين بهذا الاسم، نسبة إلى الصبغة الأرجوانية التي اكتشفوها وبرعوا فيها، أمر قد يكون مقبولًا، فقد أطلق الإغريق على بعض المدن أسماء لمنتجات تشتهر بها[2].

إذن هذه التسمية هي نعت أكثر مما هي تسمية؛ فالإغريق هم من وصف الكنعانيين بالفينيقيين، كما أطلق الأوروبيون على سكان القارة الأميركية اسم (الهنود الحمر)، وكانت مسرحيات اليونان ثم الرومان الهزلية تصف الفينيقيين بالمكر، والاحتيال، والعهر الأخلاقي، والأساليب الملتوية في التجارة[3].

---

(1) الأحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم (ص241).
(2) شيفمان، مجتمع أوغاريت، العلاقات الاقتصادية والبنية الاجتماعية، ترجمة: حسان ميخائيل (ص16).
(3) فردريك معتوق، سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية – الفينيقية (ص20-22).

حضارتهم: كانت الحضارة الكنعانية -الفينيقية ريفية وزراعية وتجارية في آن واحد. وقد اهتم الغربيون بالحضارة الفينيقية؛ لأنّ علماءهم اعتبروا أنفسهم مدينين ثقافيًّا وبنيويًّا لهذه الحضارة التي أعطتهم الكثير، وفي طليعتها الأبجدية الكنعانية التي قامت عليها الأبجدية الإغريقية ثم الأبجديات الأوروبية كلها. فكان تأثير الفينيقيين جوهريًّا ومعترفًا به في الثقافات الأوروبية[1].

ويعدّ اختراع الأبجدية من أعظم ما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية، ابتكرت هذه الكتابة عام 1100 ق.م وقد تألفت من 22 حرفًا، وسميت أيضًا بأبجدية جبيل، وأكسب اختراع الأبجدية فينيقيًّا مكانًا هامًّا في تاريخ الحضارة[2].

شكّل الفينيقيون كونفدرالية تجار أكثر مما شكّلوا بلدًا ذا حدود جغرافية محددة، ولم تقم إمبراطوريتهم على مساحة محددة، بل كانت عبارة عن ربط عشوائي بين مجموعات واسعة من متّحدات التجار المتفرقة. فليست الأرض أو اليابسة هي المجال الحيوي لديهم بل التجارة المتنقلة بين كلّ البحار التي وصلت إليها سفنهم المحملة بعشرات الأنواع من السلع[3].

كانت فينيقيا طوال خمسة قرون قوة عُظمى كبلاد الإغريق. وكانت لدى الفينيقيين حضارة لا مركزية تنتسب إلى قوى متعددة. وكان عنصر اللحمة

---

(1) المرجع السابق (ص23).
(2) عصفور، المدن الفينيقية (ص185-186).
(3) فردريك معتوق، سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية - الفينيقية (ص23).

يكمـن في ثقافتهم اللغويـة؛ إذ كان الكنعانيون - الفينيقيـون يتكلمون جميعًا لغـة واحـدة مع فارق بسـيط في اللهجـات. وأسّسـوا شراكات اقتصادية في المحطات التي كانت ترسو سفنهم في موانئها، وكانوا محطّ احترام وتقدير من الشـعوب التي اختلطوا بها، لكنهم كانوا موضع غيرة وحسـد من منافسيهم الإغريق ثم الرومان. وقد امتد مجالهم الحيوي إلى شـبه الجزيرة العربية، وآسيا الصغرى، ومصر، وشمالي أفريقيا، والصحراء الأفريقية، وأوروبا المتوسطية، وتوزعت مراحل تمركزهم على الشـكل التالي: مرحلة الاستكشاف الجغرافي والملاحة التجارية، ومرحلة التأسـيس العمراني، ومرحلة إقامة المستوطنات القرطاجيـة، ومرحلة الهيمنـة التي توصف بالإمبريالية. وتميزت الشـخصية الكنعانية - الفينيقية بالمرونة، والكتمان، والدفاع الشرس عن الذات[1].

(1) فردريك معتوق، سوسيولوجـيا الحضارة الكنعانية - الفينيقية (ص23).

المطلب الثاني

الأصول الإثنية للشعب الفينيقي



تسمى المنطقة التي تقع فيها (بَعْلَبَكّ) وما حولها بأرض كنعان، وقد استخدم المفسرون لفظ الكنعانيين على كل المنطقة الواقعة في بلاد الشام[1]، وكذلك استخدمها مؤرخو ومفسرو العهد القديم وأطلقوها على الأقوام القديمة التي استوطنت في بلاد الشام عامة، فقد سكنوا في فلسطين وسورية ولبنان، وعملت على إنشاء مناطق تابعة لها في هذه المناطق، ومن أشهرها ممالك صور وصيدا وعكا وغيرها الكثير؛ وذلك لأنهم كانوا يعتبرون من الممالك ذات الرتب المتقدمة بالهيمنة والسيطرة على الدول والممتلكات[2]. وتشير التوراة إلى (أرض كنعان) في كل المنطقة الممتدة من غرب الأردن وحتى فلسطين اليوم وسواحل سوريا[3].

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (1/ 381)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (15/ 16-17)، تاريخ ابن خلدون (2 / 97).

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (ص36)، لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى (ص34)، هامرتن، تاريخ العالم (2/ 105)، السواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي (ص92)، الصهادي، نقد النص التوراتي (ص248)، مصطفى كمال - سيد فرج، اليهود في العالم القديم (ص66).

(3) للاطلاع: سفر التكوين:الإصحاح 10: العدد 19، الإصحاح 12: المقطع 5-8، الإصحاح 17: العدد 8؛ سفر الخروج، الإصحاح 6: العدد 4؛سفر العدد: الإصحاح 13: العدد 2، سفر التثنية: الإصحاح 34: العدد 1- 5؛ سفر يشوع: الإصحاح11: العدد 23، الإصحاح 13: العدد 7، الإصحاح 30 : عدد 17، الإصحاح 35: العدد 34.





ويُعتبر الفينيقيون من أكثر الأقوام والحضارات شهرة في التاريخ، رغم الاختلاف الكبير بين المؤرخين حول الأصول التي يرجع إليها الفينيقيون، وهو ما جعل الآراء تتعدد حول أصولهم فمنهم من يرى أنهم يعودون لنسل كنعان، ومنهم من يرجح أن أصولهم تعود لسيناء في مصر، وفريق يرى أنهم في الأصل نازحون من الجزيرة العربية، ومن أصول قبائل (حمير) المعروفة. واعتمدوا في ذلك على علم (الآركيولوجيا)[1]؛ وذلك عبر النقوش والحفريات التي وجدوها لاحقًا في أماكن تواجدهم في تلك الممالك.فوثائق أوغاريت تشير إلى أن الفينيقيين جاءوا من سيناء أو من النقب نحو الشمال[2].

وسواء كان قدومهم من جنوب الجزيرة أو من ساحل الخليج أو من سيناء إلا أن كل ذلك لا يمنع من كون أصولهم عربية، ويبقى الخلاف محصورًا في دائرة المنطقة التي هاجروا منها، وهي مسألة شائكة لكل القبائل والقوميات التي كانت تنتقل كثيرًا في ذاك الزمان، ولا نكاد نجزم بشيء منها.

وعلى كل حال فالاتفاق الحاصل على أن أصولهم كنعانية يرد على قطاع عريض من مسيحيي اللبنانيين الذين اعتقدوا أنهم من جذور تاريخية مميزة

---

(1) يعني مصطلح الآركيولوجيا علم القديم، وهو مأخوذ من كلمة يونانية الأصل، وهي (Apxiolλojia) ويسمَّى باللغة الإنجليزية (Archaeology)، وهو علم يختص في البحث بماضي وآثار الإنسان وكل ما خلفه من ماديات تاريخه، إضافة إلى نشاطه الاقتصادي والاجتماعي الذي كان عليه قديمًا، واعتمد هذا العلم في معلوماته على مصادر مهمة ونصوص وُجدت محفورة ومكتوبة باللغات القديمة [موقع: http://weziwezi.com، بتاريخ 5/ 7/ 2018م]

(2) مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية (ص32).




عن المنطقـة المحيطة العربية، وأنهم أحفاد الفينيقيـين، ولا يمتّون للكنعانيين ولا للسّاميّة بصلة إلا من حيث اللغة[1].

والحقيقة الواضحة: أن الفينيقيين هم جزء من الكنعانيين، وليس سكان جبل لبنان فقط، وبالتالي حطم مقولة القومية اللبنانية غير العربية التي تستند في تاريخهـا إلى أن الفينيقيـين هـم غـير الكنعانيين. وعلى الرغـم من اختلاف المؤرخين حول أصولهم إلا أن هناك دلائل كثيرة لدى علماء الآثار تساعدهم في إثبات أن الفينيقيين هم في الأصل ساميون كنعانيون[2].

وقـد قطع علـم الوراثة الجينية إشـكالية أصول الفينيقيـين؛ حيث أثبتت الهندسـة الجينية أصولهم الكنعانية وفق ما خرجت به الدراسـة الجديدة التي نـشرت نتائجها «المجلـة الأمريكية لعلم الوراثة البشريـة» (*The American Journal of Human Genetics*)؛ حيـث أثبتـت الأصل الكنعاني للفينيقيين بنسـبة تفوق الـ٩٠٪، ومن المعلوم أن علـوم الوراثة تمتلك من القوة لتجيب عن أسئلة تعجز أمامها السجلات التاريخية أو المواقع الأثرية[3].

(1) ممن أطال في إثبات استقلال الفينيقيين عن الساميّة كتاب: ديورانت، ويل، قصة الحضارة (2/ 310) وما بعدها؛ وكذلك: سيد غلاب محمد، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ.

(2) عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم (ص272، 273).

(3) *Identifying Genetic Traces of Historical Expansions: Phoenician Footprints in the Mediterranean, Pierre A. Zalloua, Daniel E. Platt, Mirvat El Sibai, Jade Khalife, Nadine Makhoul, Marc Haber, Yal-iXue, Hassan Izaabel, and others, The American Journal of Human Genetics, Vol. 83, Issue 5, p633–642*

ومما يدلّل على أصولهم العربية، أن الأبجدية التي اخترعها الفينيقيون كتبوا حروفها من اليمين إلى الشمال (مثل العربية)، ونشروها في جميع بلاد العالم شرقًا وغربًا، إضافة للتشابه اللغوي بين الخط العربي الجنوبي (المسند) والكتابة الفينيقية[1]، كما تدلّ على هذا النقوش المكتوبة بالحميرية والفينيقية[2].

وهذا نموذج مقارنة بين الخط المسند -على اليمين- والأبجدية الفينيقية:

[illegible]	الفينيقية	صوت
[illegible]	[illegible]	أ
[illegible]	[illegible]	ب
[illegible]	[illegible]	ج
[illegible]	[illegible]	د
[illegible]	[illegible]	هـ
[illegible]	[illegible]	و
[illegible]	[illegible]	ز
[illegible]	[illegible]	ح
[illegible]	[illegible]	ط
[illegible]	[illegible]	ي
[illegible]	[illegible]	ك
[illegible]	[illegible]	ل
[illegible]	[illegible]	م
[illegible]	[illegible]	ن
[illegible]	[illegible]	س
[illegible]	[illegible]	ع
[illegible]	[illegible]	ف
[illegible]	[illegible]	ص
[illegible]	[illegible]	ق
[illegible]	[illegible]	ر
[illegible]	[illegible]	ش
[illegible]	[illegible]	ت

(1) قامت الباحثة: سميرة الراهب، بإثبات أوجه التشابه الكبير بين الخط المسند والكتابة الفينيقية في رسالتها للدكتوراه: دراسات لغوية مقارنة بين اللغة العربية واللغة الكنعانية – الفينيقية في ضوء اللغات السامية، بكلية الآداب، جامعة دمشق، 1998م؛ وانظر أيضًا: أيمن اسمندر، الرموز الفينيقية، رسالة ماجستير بجامعة دمشق، 2002م

(2) الشيخ، حسين، العرب قبل الاسلام (ص115).

وعلى هذا فنسب الفينيقيين الكنعاني هو الصواب قطعًا؛ فالكنعانيون كانوا شعبًا انتقل من الترحال إلى الحضر؛ لأنّ جذر الفعل السامي (كنع) يعني الثبات والاستقرار[1].

---

(1) فردريك معتوق، سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية – الفينيقية، (ص20-22).

المطلب الثالث

بَعْلَبَكّ

بَعْلَبَكّ اسم مركب من (بعل) اسم صنم و(بك) أصله من: بكّ عنقه: أي دقها، وتباكّ القوم أي: ازدحموا. ثم سُميت بها عرف على طريق التركيب المزجي، فإما أن يكون نسب الصنم إلى (بك) وهو اسم رجل، أو جعلوه يبكّ الأعناق، هذا إذا كان عربيًّا، وإن كان أعجميًّا فلا اشتقاق له[1]. قال ياقوت: بَعْلَبَكّ بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، فُتحت بصلح أيام عمر (سنة14 هـ)، وكان لأهلها صنم يسمى (بعلًا) فسميت به، واسم الموضع (بَك)[2].

وتسمية المدينة قديمة؛ إذ ذكرت في التوراة باسم (بعلبق)، وهناك من عرّب اسمها إلى (مدينة الإله بعل). وأطلق على المدينة أيام الرومان بالـ(هيليوبولس) أي مدينة الشمس عند الرومان، كما سمّاها الأمويون بالقلعة. فاسم المدينة إذن مشتق من اسم الإله، «سيد المدينة» (بعل: سيد، بك: المدينة) أو «سيد النبع» (نبك: النبع) أو «سيد باكي» (باكي: البقاع)[3].

---

(1) الألوسي، روح المعاني (23/ 139)، والراجح أنه اسم عربي مركّب مشتق وليس بأعجمي.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان (1/ 453).

(3) موقع الفينيقيون: http://www.pheniciens.com، بتاريخ: 18/ 1/ 2018م، نقلًا عن: =

تقع مدينة بَعْلَبَكّ هذا الزمان في لبنان، وبالتحديد في شمال سهل البقاع وشرق نهر الليطاني، وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي 83 كم من ناحية الشمال الشرقي. وبالتحديد في السفح الغربي من جبال لبنان الشرقية، وتعلو إلى ١١٥٠ متر عن سطح البحر. موقعها كان صلة وصل ومركز استراتيجي بين حضارات العصور القديمة، بين دجلة والفرات إلى الشرق، وبلاد النيل. وهكذا وجِدَتْ المدينة على ممر رئيسي للقوافل التجارية على مفترق الطرق بين بلاد ما بين النهرين ومصر وشواطئ البحر المتوسط[1].

أنشأ الفينيقيون مدينة بَعْلَبَكّ في أوائل العام 2000 ق.م، فبنوا فيها أول هيكل أُهدي لإله الشمس (بعل). لكن الهيكل لا يمكن رؤيته الآن بسبب الأعمدة الرومانية التي بنيت فيما بعد في بَعْلَبَكّ، وكانت بَعْلَبَكّ -على عكس المدن الأخرى- معزولة عن التجارة. كما أن بَعْلَبَكّ هي جزء من بلاد كنعان الكبيرة الامتداد، ففي فترة تأسيس المدن الكنعانية (3000 - 2400ق.م) ذكر الباحثون أنهم عثروا على ما يربو عن 135 مدينة، كما وجد 1200 قرية تعود نشأتها للكنعانيين[2].

Cf.NinaJidejian. Baalbek-Héliopolis «cité du soleil». Beyrouth. Librairie Orientale. p.8

Maurice Sartre. «La Phénicie romaine. la puissance de Rome» dans Liban. l'autre rive. Paris. IMA-Flammarion. 1998. p.187

(1) موقع الفينيقيون: http://www.pheniciens.com، بتاريخ: 18/ 1/ 2018م، نقلًا عن: *Roger Saidah. «Archeology in the Lebanon 1968-1969» Berytus XVIII. 1969. p.126*

(2) أجود عودة، تاريخ الحضارة الفلسطينية، نقلًا عن موقع: http://www.shak-makw.com/، موضوع بعنوان: بحث مفصل حول الكنعانيون والفينيقيون، بتاريخ 30/ 10/ 2011م

ولكن (بَعْلَبَكّ) بالنسبة لهم هي المدينة الدينية التي يحجون ويفدون إليها ويذبحون القرابين، مثل مكة اليوم بالنسبة للمسلمين، أو الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك. وقد برزت بَعْلَبَكّ على الساحة السياسية بعد احتلال الإسكندر المقدوني لها، لكنها أصبحت في العهد الروماني مكان عبادة للأوثان كما كانت في العهود السابقة. وتضم القلعة في بَعْلَبَكّ مجموعة من الهياكل الضخمة؛ حيث تنقسم هياكلها إلى ثلاثة معابد رئيسة متنوعة البناء:

1. **معبد جوبيتر:** وهو أكبر الهياكل. ويعتبر معبد جوبيتر أضخم المعابد الرومانية على الإطلاق. ولم يتبق من الأعمدة الكورينثية الـ 54 إلا 6 أعمدة فقط.

2. **معبد باخوس:** إله الخمر عند الوثنيين، والذي بني في القرن 2م.

3. **معبد «فينوس إله الحب»:** والذي بني في منتصف القرن 3 ق.م[1].

وقد تمّ ذلك في عهد الإمبراطورية الرومانية؛ حيث أُعيد بناء معبد الشمس ليصبح معبد جوبيتر، وتم بناء معابد فينوس وباخوس بالقرب منه. أما في عهد الإمبراطورية البيزنطية فقد تحولت المعابد الوثنية إلى كنائس مسيحية إلى حين مجيء المسلمين وظهور المآذن، وبعد ذلك جاءت فترة تعاقب الصليبيين والأتراك والمغول. ولقد تعرضت هذه الهياكل القديمة على مر الزمن إلى عمليات نهب وإعادة بناء وتفكيك للمواد باستمرار كما أنها عانت كثيرًا من الهزات الأرضية القوية، ولكن بالرغم من الدمار والزلازل مازال مجمع معبد بَعْلَبَكّ المطل على مدينة بَعْلَبَكّ اللبنانية قائمًا ببقاياه حتى وقتنا هذا.

---

(1) حسن عباس نصر الله، تاريخ بعلبك (1/ 40-45).

ويمكـن الوصـول الآن إلى معبـد جوبيـتر -المبني عـلى أساسـات بعل وأنقاضه- عن طريق أوسـع درج في العالم؛ حيث تتسـع المسـطبة الواحدة ل 100 شـخص في صـف واحد.ولم يتبقّ مـن أعمدة المعابد سـوى 6 أعمدة، يصـل ارتفـاع الواحـد منهـا إلى نحو 20م وقطـره 2.5م، ولا يـزال من غير الواضـح حتـى الآن كيـف تمكّن البنـاءون القدمـاء من رفـع وتركيب ثلاثة أعمـدة مصقولـة يصل وزنها 45 طنًّا[1]. أما المنصة التي تقع في قاعدة معبد جوبيتر-وهـي أساسـات معبد بعل من قبله- فهـي مبنية من الكتل الحجرية التـي يصل وزنهـا حوالي 300 طـن، ووزن كل من الكتـل الصخرية الثلاثة التـي تدعى «تريليتـون» يتجاوز 850 طن، وهذا أكـبر بعدة مرات من وزن أي من الكتل المسـتخدمة في بناء أكبر الأهرامات المصرية؛ حيث يصل طول صخرة تريليتون وسـطيًّا إلى نحو 21م، لكن الكتل الصخرية هذه مبنية منذ عهد الفينيقيين بشـكل وثيق ودقيق جدًّا. وعلى مسافة كيلو مترين من المنصة هنـاك صرح حجري يطلق عليـه (حجر الجنوب)، والـذي يصل وزنه نحو 1200 طـن، وهـذا أكبر صرح حجـري معالج على سـطح كوكب الأرض حتى هذه اللحظة[2].

---

(1) للاسـتزادة فيها بلغته الحضارة الفينيقية: خلايلي، الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم والحوليات الآشورية.

(2) سر بنـاء بعلبك القديم في لبنـان، موقع (صوت روسـيا): https://arabic.sputniknews.com/arabic.ruvr.ru/، بتاريخ 2/ 7/ 2013

المبحث الرابع

البعل

ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: الأصل اللغوي لكلمة (بعل).

المطلب الثاني: البعل في قصة إلياس.

المطلب الثالث: (بعل) إله الفينيقيين.

المطلب الرابع: عبادة بني إسرائيل للبعل.

المطلب الخامس: بقاء المعالم الوثنية حتى العصر الحاضر.

المطلب الأول

الأصل اللغوي لكلمة (بعل)

تأتي لفظة البعل في اللغة على خمسة أوجه، كما يلي:

1. الـزوج: ومنـه قولـه تعـالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء:128]، أو نظيره قوله تعـالى: ﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود:72]، وقولـه تعـالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا﴾ [البقرة:228]، وقولـه تعـالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ...﴾ الآية [النور:31].

وقد اتفق العلماء على تفسير كل هذه الآيات في المواضع الستة بالزوج، وممن قال بذلك يحيى بن سلام[1]، وأبو هلال العسكري[2]، والحيري[3]، وابن الجوزي[4].

2. البعـل بمعنى الرب: ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [الصافات:١٢٥]، ويمكن أن يقال أنه اسم علم على الصنم المعبود[5].

---

(1) يحيى بن سلام، التصاريف (ص312).
(2) أبو هلال العسكري، تصحيح الوجوه والنظائر (ص136).
(3) الحيري، وجوه القرآن، تحقيق: نجف عرشي (1/ 136).
(4) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظرفي علم الوجوه والنظائر (1/ 188).
(5) أبو هلال العسكري، تصحيح الوجوه والنظائـر (1/ 138)، ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر (1/ 188)، الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (1/ 527).

والـذي يظهـر أن هذيـن المعنيـين يرجعـان لمعنـى العلو والسـيادة -كما سـأبيّن- فالزوج سـيد على الزوجـة، والصنم في نظر المشركـين وزعمهم أنه سيد عليهم فهو ربهم ومالكهم.

3. بمعنى الصاحب، وهذا المعنى قريب من معنى الزوج.

4. بمعنى ما شرب من النبات بعروقه في الأرض من غير سقي السماء.

5. المرتفع من الأرض[1].

وهـذه الوجوه يمكن أن نرجعها إلى أصـل واحد، فربما يكون الأصل في البعـل القيام بالأمر، كما يرى ابن فارس[2]؛ أما ابن الجوزي فيرى أن الأصل في البعل العلو[3].

ومـن خلال النظر إلى أصـل اللفظ في اللغة، وما ذكـره العلماء من وجوه اسـتعمال اللفظ في اللغة يتبين أن هناك تداخلًا في هذه الوجوه، وعليه فالذي يظهـر أن الأصـل في معنى البعل هـو العلو والاسـتغناء والسـيادة، ولذلك اسـتعمل بمعنى الرب لعلوه وسيادته، وأطلق على اسم صنم بعينه لسيادته، واسـتعمل بمعنى الزوج لسيادته وقيامه بشـئون المرأة، وأطلق على ما شرب مـن النبـات بعروقـه في الأرض من غير سـقي السـماء لاسـتغنائه عن غيره،

(1) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر (1/ 188).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة (1/ 265).
(3) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر (1/ 188).

وأطلق على المرتفع من الأرض لاستعلائها؛ وعلى هذا فالبعل في اللغة على وجه واحد وهو كل ما علا وساد واستغنى عن غيره[1].

وهذا المعنى اللغوي هو ما استلهموه حينما صوّروا هذا الإله على هيئة إنسان جالس على عرش يحمل قرني كبش، وهذا التصوير له دلالة جوهرية مرتبطة بهذا الحيوان، وهي عملية الإخصاب المتمثلة في القوة، ولذلك كثيرًا ما نرى بعض الآلهة تصورها المجتمعات القديمة قد اتخذت شكل بعض الحيوانات في مقدمتها الكبش والثور[2]، فالبعل حتى في أبجديتهم هو بمعنى (السيد)[3]، وما زال الناس إلى الآن في لبنان يطلقون على الأرض التي لا تُسقى ريًّا بأرض بعل، والخضروات التي لا تُروى صيفًا بعلية[4].

(1) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم (2/ 328).
(2) إيناس بهي الدين عبدالمنعم، المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة (ص132).
(3) مهران، المدن الفينيقية-تاريخ لبنان القديم (ص313).
(4) إسماعيل، خالد سالم، الكنعانيون من الأقوام العربية القديمة في بلاد الشام (ص52).

المطلب الثاني

البعل في قصة إلياس

استنكر إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه عبادة ودعاء (البعل) فقال لهم: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [الصافات:١٢٥]، فالتحذير من عبادة هذا الصنم وترك عبادة الله كانت محور دعوة الرسول إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد اختلفت أنظار المفسّرين في تفسير (البعل) ههنا على آراء:

الرأي الأول: أنه اسم صنم كان يعبده أهل (بك) من الشام (الكنعانيون)، وهو أعظم أصنام قوم إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد مناة وهبل وهو قول ابن عباس، وأخرج الطبري بإسناده هذا القول عن الضحاك، وابن زيد[1]، كما أنه قول الحسن وابن زيد وقول مقاتل[2]. وهو الرأي الأصح والأشهر كما يقول ابن كثير[3]. ولا يتعارض هذا مع قول من قال إنه صنم من أصنام الفينيقيين[4]؛ إذ إن الفينيقيين أصولهم كنعانية.

وكانت كلمة البعل تعني إله القمر أو إله السماء. وكان كذلك في جنوب

---

(1) تفسير الطبري (21/ 97).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (15/ 117)، تفسير البيضاوي(5/ 25)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/ 21)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1/ 417)، تفسير ابن عاشور (23/ 166)، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (26/ 141).

(3) ابن كثير، قصص الأنبياء (ص348)، تفسير ابن كثير (4/ 21).

(4) القاسمي، محاسن التأويل (8/ 225).

جزيرة العرب وفي العراق أيضًا؛ حيث يبدو أنه من آلهة العرب الرئيسة، وقد قُرئ في آثار اليمن اسم (بعل سمين) بمعنى إله السماء[1].

وقد قيل إن الصنم كان على صورة إنسان من نحاس له رأس عجل وله قرنان وعليه إكليل، وهو جالس على كرسي مادًّا يديه كمن يتناول شيئًا، وكانوا يقربون له أطفالًا من أطفال ملوكهم[2]. «وقيل كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعًا وله أربعة أوجه، وفُتنوا به وعظَّموه، حتى عيَّنوا له أربعمائة سادن، وجعلوهم أنبياء[3]».

الرأي الثاني: ذهب البعض إلى أنّ (بعل) ليس اسمًا لصنم معيّن، بل يطلق بصورة عامّة على الأصنام، وأنّها تعني (الربّ والمعبود). «فعلى هذا التقدير المعنى: أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله[4]». وهو قول مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ونصر هذا الرأي أبو عبيدة وابن قتيبة، وأخرج الطبري بإسناده هذا القول عن عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسدي وقالوا بأنه لغة أهل اليمن، وقيل: هو بلغة حمير. وفي رواية عن قتادة قال: وهو لغة أزد شنوءة[5]. وكلها من القبائل اليمانية فلا خلاف كبير في ذلك. ولعلّها كلمة ساميَّة قديمة، ولهذا سمَّى الكنعانيون (الفينقيون) معبودهم

---

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (3/ 157).
(2) تفسير ابن عاشور (23/ 166).
(3) تفسير الرازي (26/ 354).
(4) الزمخشري، الكشاف (4/ 60)، تفسير الرازي (26/ 354).
(5) تفسير الطبري (21/ 96)، تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3225)، تفسير السمرقندي (3/ 123)، تفسير الماوردي (5/ 64)، ابن الجوزي، زاد المسير (7/ 80)، تفسير القرطبي (15/ 117).

بَعْلا[1]، وقد دخلت كلمة بعل في عداد اللغة العربية الفصحى قبل الإسلام، وصارت بمعنى الزوج ومالك الشيء[2].

قال الضحاك: كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف إلى أن مرّ به رجل قد أضلّ ناقته يقول من وجد ناقة أنا بعلها، فعلم منه أنه ربها[3]. وأصحّ من هذه الرواية -التي تنسب إلى ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جهله بهذه الكلمة- ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه أبصر رجلًا يسوق بقرة، فقال: من بعل هذه؟ فدعاه فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل اليمن فقال: هي لغة أتدعون بعلًا أي ربًّا[4].

ومنه سمي الزوج بعلًا لهذا المعنى[5]، قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة:٢٢٨]. وقال أيضًا: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [هود:72]. يقول الطبري: «وللبَعْل في كلام العرب أوجه. يقولون لربّ الشيء هو بَعْله، يقال: هذا بَعْل هذه الدار، يعني ربُّها، ويقولون لزوج المرأة بعلُها. ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيًا بماء السماء، ولم يكن سقيًا بل هو بعل[6]».

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (2/ 393).
(2) محمد عزة دروزة، التفسير الحديث (4/ 229).
(3) تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3225)، تفسير ابن كثير (4/ 21)، تفسير ابن الجوزي (7/ 80)، تفسير القرطبي (15/ 117)، تفسير البيضاوي (5/ 25).
(4) تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3225)، السيوطي، الدر المنثور (7/ 119).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة (2/ 412) مادة: (بعل)، ابن منظور، لسان العرب (11/ 59) مادة: (بعل).
(6) تفسير الطبري (21/ 97).

بينما يرى (الراغب الأصفهاني) وتبعه (الفيروز آبادي) أن أصل الكلمة في اللغة تطلق على الزوج ثم اشتقّ منها للربّ، وسبب الاشتقاق أنه «لما تُصوّر من الرّجل استعلاء على المرأة، وأن بسببه صار سائسَها، والقائم عليها، شُبّه كلّ مستعلٍ على غيره به، فسمّي به. فسمَّى قوم معبودهم الذى يتقَرَّبُون به إلى الله تعالى (بعلا) لاعتقادهم ذلك فيه[1]». وقال السيوطي: «وكلّ ما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج، إلا (أتدعون بعلًا) فهو الصنم[2]».

وتسمية المعبود بَعْلًا؛ لأنه رمز إلى قوة الذكورة[3]، ومما يؤكد لنا أن (بَعل) كان رمزًا للذكورة لدى عابديه أنه «كان يرمز إليه بحجارة مخروطية قائمة... وذلك لأنه في رأيهم الجوهر الذكر في التناسل، وزوج الأرض الذي يخصبها»[4]. والتحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة (بعل): هو ما كان قائمًا بنفسه وله جهة علوّ واستغناء وسيادة إلى أقرانه. وهذا المعنى يختلف ما يصدق عليه باختلاف الموارد، فبعل المرأة زوجها، وبعل النخل ما كان مستغنيًا عن السقي، والبعل لبعض الأديان هو صنمهم، وبعل الشيء مالكه وصاحبه، وبعل الأمكنة ما كان مرتفعًا مستغنيًا عن المطر[5].

---

(1) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (2/ 260)، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن (1/ 104).
(2) السيوطي، الإتقان (1/ 417).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (2/ 393).
(4) ديورانت، قصة الحضارة (2/ 339).
(5) حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم (1/ 328).

والـذي يظهـر لي أنه لا فرق كبير بين الرأي الأول والثاني؛ إذْ إنهم سـمّوه بعلًا اشتقاقًا من معناه المعروف عندهم بلغتهم بأنه هو الرب والإله.

الرأي الثالث:كانت امرأة اسمها (بعل)، وهو ما يرويه محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها (بعل)[1]. ولعل القراءة الشـاذة (بعـلاء) على وزن (حمـراء) هي التـي دفعتهم لهذا القـول[2]، ولكن البغـوي والبقاعـي وجّها هذه القراءة بأنها إشـارة إلى كثرة حـثّ امرأة الملك عـلى عبادة بعل وقتـل إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وطاعة زوجها لها في ذلك، فاسـتحق التأنيث لذلك، فأنّث لكثرة ملابستها له، والجنسية علة الصنم[3].

والـرأي الأول هـو الصـواب، والرأيان الآخـران يندرجان تحته؛ فاسـم الصنـم (بعـل) معـروف في كتـب التاريـخ القديـم، وهـو صنم مـن أصنام الفينيقيـين[4]، ومنحوت على الأحجار الشـاهدة على ذلـك حتى يومنا هذا، وهو ما أثبته أيضًا علم الآثار والأحفورات (الآركيولوچيا).

---

(1) تفسير الطبري (21/ 97)، تفسير ابن كثير (4/ 21)، تفسير القرطبي (15/ 117)، ابن الجوزي، زاد المسير (7/ 80).
(2) السمين الحلبي، الدرّ المصون (9/ 327).
(3) البغوي، معالم التنزيل (7/ 52)؛ البقاعي، نظم الدرر (16/ 284).
(4) القاسمي، محاسن التأويل (8/ 225).

المطلب الثالث

(بعل) إله الفينيقيين



(بعل) هو الصنم الذي حارب عبادتَه نبيُّ الله إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال مناديًا لقومه: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [الصافات:125]. وقد ساق الطبري بسنده إلى ابن زيد في قوله: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ قال: «بعل: صنم كانوا يعبدون، كانوا ببَعْلَبَكّ، وهم وراء دمشق، وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون»[1]. ولا شك أن الفينيقيين هم الذين عبدوا البعل ومعناه الإله الأكبر، وتوهموه بالشمس، ويسمى أحيانًا بالبعليم وهو جمع بَعْل. وكانوا يعتقدون أن للبعل بَعْلة، أي زوجة، وهي في درجة من العظمة، فعبدوها باسم (عشتروت) أو (عشتارت)ويعني اسمها (السيدة) ولقبوها: ملكة السماء، ويعنون بها القمر[2] وكانوا يضعون لها نصبًا وصنمًا لعبادتها في كل مدينة مع زوجها[3]. والإلهة عشتارت (*ASHTART*) ورد ذكرها في التوراة على أنها ملكة السماوات وتقرب لها القرابين[4]، ويستنتج مما ورد في التوراة أن عبادة (عشتروت) أو (عشيرا) قد تأتي مقترنة مع الإله (بعل)، بدليل مجيئها مقرونة بضمير الغائب المتصل (عشيرته *His Asherah*)، وترد

(1) الطبري، جامع البيان (23/ 92)، وكذلك: تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3225).
(2) السواح، فراس، لغز عشتار، (ص70-74).
(3) أحمد، حسن عبدالعزيز، الفينيقيون وإسهاماتهم الحضارية، بحث في مجلة (الدارة) - السعودية، مجلد 5 عدد 4، 1980م، (ص181).
(4) سفر إرميا، إصحاح 7 مقطع 18.

أيضًا بصيغة المفرد والجمع في التوراة (عشيرا) في المفرد، و(عشيروت) في الجمع، مما يدل على وجود أكثر من صيغة لهذه الإلهه[1].

ويقال أنّ الفينيقيين اعتقدوا التوحيد في الإله (بعل) وأنه لا شريك له في عبادته، ولكنهم زعموا أن له شركاء يعينونه في تصريف أمور الكون والطبيعة، ومنهم زوجته المذكورة، كما أنهم وضعوا في كل مدينة بعلًا خاصًّا ينتسب إلى تلك المدينة، كبعل صور وبعل جبيل وبعل بيروت... إلخ[2].

والذي يميل إليه الباحث أنه هو نفسه المسمّى (إيل) أو (إل) بحسب الدراسات الآركيولوجية الحديثة، كما أن له بعض الأسماء الأخرى هي بمثابة الصفات له كـ(الظافر) أي المنتصر، و(زبّول) بمعنى الرفعة والسموّ، و(بعليم) و(إله الحبوب والقوت)، و(هدد) أو (بعل هدد) أي منزل الغيث والأمطار، ومنه اقتبس الإغريق اسم (أدونيس) لإلههم[3].

قال ابن عاشور في أثناء حديثه عن عبادة بني إسرائيل للعجل: «وإنما اتخذوا العجل تشبهًا بالكنعانيين الذين دخلوا إلى أرضهم، وهم الفينيقيون سكان سواحل بلاد الشام، فإنهم كانوا عبدة أوثان وكان العجل مقدسًا عندهم، وكانوا يمثلون أعظم الآلهة عندهم بصورة إنسان من نحاس له

---

(1) جودت السعد، أوهام التاريخ اليهودي (ص160)، نقلًا عن:
David noelFreedman. Biblical Archaeologist Vol 50 December 1987

(2) كرد علي، خطط الشام (6/ 27).

(3) إسماعيل، خالد سالم، الكنعانيون من الأقوام العربية القديمة في بلاد الشام (ص52).

رأس عجل جالس على كرسي... وكان يسمَّى عندهم (بعلا) وربما سموه (مولوك) وهم أمة سامية لغتها وعوائدها تشبه في الغالب لغة وعوائد العرب[1]». ولا شك أن الانتشار الواسع لهذا الإله ومكانته المقدّسة في قلوبهم جعلت منه إلهًا رئيسًا في المنطقة، وقدّمت له العديد من الأضاحي، وخاصة البشرية منها[2].

وقد قلّد الإغريق الفينيقيين في وضع هالة ومواصفات على (زيوس) مشابهة للبعل؛ حيث نجد أن أوصاف (البعل) الكنعاني كاملة في شخصية الإله زيوس، كذلك نجد زيوس في إلياذة هوميروس هو مجمع السحب ومرسل الصواعق ويرعد في الأعالي، وهذه الأوصاف ذاتها ترافق اسم البعل في نصوص أوغاريت[3]، وكما يوصف البعل بالعلي نجد أن كلمة زيوس الإغريقية تعني السماء أيضًا أي العلو[4].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (1/ 500).

(2) مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش (ص65).

(3) أوغاريت (رأس شمرا) هي مملكة قديمة في سورية كشفت أنقاضها في تل أثري على مسافة 12 كم إلى الشمال من مدينة اللاذقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. تم اكتشافها صدفة في العام ١٩٢٩م، وقد عثر في «أوغاريت» حتى الآن على حوالي 3000 من الرقم أي اللوحات الفخارية تعود للقرنين 14 و13 ق.م، مكتوبة باللغة «الكنعانية» وباللغة «الأكادية- البابلية»، وكذلك على نصوص باللغة «الحورية والمصرية والقبرصية والحثية». (أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو- القاهرة، 1963م، ص73).

(4) الحوراني، لبنان في قيم تاريخه، بحث في فلسفة تاريخ لبنان، العهد الفينيقي (ص249).

وقد خرج الباحث بعد النظر أن أجدادهم المذكورين بقوله تعالى: ﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:126] ربما كانوا مسلمين موحّدين، فذكّرهم بهم، وربما هم من بقايا دعوة (ملكي صادق)، ودعوة (شعيب) عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

ويشهد لذلك أن الفينيقيين –ويسمون في الروايات الإسرائيلية (بنو قين)– قد ورد ذكرهم في التوراة عدة مرات باسم طائفة تسمّى (القينيين)، أو (بنو القيني)[1] وربطت التوراة بينهم وبين نبي الله شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي كان رئيسًا لهذه القبيلة، ودعاها إلى عبادة الله الواحد، ولقي استجابة منها[2]. ومما يؤكد أن قبيلة (القينيين) كانت على دين الإسلام، قيام امرأة قينيّة تسمى (ياعيل)، وهي زوجة (حابر القيني)، بقتل (سيسرا) رئيس جيش (يابين) ملك كنعان؛ وذلك من أجل مساعدة جيش بني إسرائيل[3].

(1) سفر القضاة، إصحاح 1، مقطع 16.

(2) عواطف بنت أديب بن علي سلامة، أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات (ص 477).

(3) سفر القضاة، إصحاح 4، مقطع 11:17؛ إصحاح 5، مقطع 27:24.

المطلب الرابع

عبادة بني إسرائيل للبعل

تحكـي لنا التوراة عـن بداية عبادة البعل منذ عهد موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا، وذلـك حينما دعـا الموآبيون والمديانيون بنـي إسرائيل إلى أعيـاد (بَعْل فغور) معبودهـم، وأرسـلوا بناتهـم عمـلًا بمشـورة (بلعـام) يغرين بنـي إسرائيل بالفحشاء والسجود لآلهتهم، فعلق في قلوب كثير من الشعب حب الموآبيات والمدينيات، وسـجد بعضهم لبَعل فغور. فاشـتدّ غضب الرب عليهم، فقال موسى: اقتلوا كل واحد تعلّق من قومه ببَعل فغور[1]. وقد استمرت عبادتهم لبَعْل، فتارة تخبو وتارة ترتفع.

والـشيء المؤكد أن بنـي إسرائيل عبدوا هذا الصنم الـذي ورد ذكره عدّة مـرات في التـوراة، وأنهم أخـذوا عبادته عن الأمـم المجاورة. وهـو ما أكَّده القرآن بقولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأعراف:١٣٨-١٤٠] وقد بيّن ابن عاشور أن القـوم الذين قلدهم بنو إسرائيـل هم الكنعانيون، ويعرفون عند متأخري المؤرخين بالفينيقيين، وأن صنم الفينيقيين باسم (بعل)[2].

---

(1) سفر العدد، إصحاح 25.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (9/ 80).

وعلى هذا جرى التقليد الوثني الأعمى لبني إسرائيل فعبدوها من دون الله، واستمرت هذه العبادة إلى عهد جدْعون[1]، فحاربها، وقال الرب لجدعون أن يقوّض مذبح البعل الذي لأبيه، [وكان بعد موت جدعون أن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم، وجعلوا لهم بعل بريث إلهًا][2].

والذي أريد أن أصل إليه أنّ (بعل) ليس إلهًا خاصًّا ببني إسرائيل بالأصالة، بل بالتبعية والتقليد. والأمر الآخر المهم أيضًا أنهم لم يعبدوا (البعل) فقط، بل عبدوا الكثير من الآلهة التي رأوها، وكان ديدنهم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾. ويتواصل التقليد الأعمى الوثني حتى بعد عهد موسى، ويقرّر (ويلز) هذه الحالة التي كان عليها بنو إسرائيل في عهد القضاة فيقول: «إن سفر القضاة عبارة عن سجل كئيب محزن لفشل بني إسرائيل وخذلانهم، لقد طارت قلوبهم، فتركوا عبادة إلههم (يَهْوه) وعبدوا البَعْل وعشتاروت -وهما من آلهة الكنعانيين-»[3].

لقد انصرفوا عن عبادة ربّهم، ومن جَهِد الأنبياء في وصف فِعاله، إلى آلهة لا يعرفونها أصلًا، تقول التوراة: «وعبد بنو إسرائيل البعليم، والعشتاروت

(1) وجدعون المذكور في التوراة التبست قصته بقصة طالوت في عدة مواضع من (العهد القديم)، ولذلك فإني أميل إلى أن الذي أنكر هذه العبادة هو (طالوت).

(2) سفر القضاة، إصحاح 8، مقطع 33.

(3) الأحمد، أحمد عيسى، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم/ دراسة لغوية تاريخية مقارنة، (ص41) نقلًا عن: *wells. the outlime of history. p257*

وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة مؤاب، وآلهة بني عمّون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه»[1].

ويحلّل غوستاف لوبون سبب هذا التقليد الغريب بقوله: «وعندما خرج هؤلاء البدويون، الذين لا أثر للثقافة فيهم، من باديتهم ليستقروا بفلسطين، وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية، متمدّنة منذ زمن طويل، فكان أمرهم كأمر جميع عروق الدنيا، التي تكون في أحوال مماثلة. فلم يقتبسوا من تلك الأمم العُليا سوى أخسّ ما في حضارتها، أي لم يقتبسوا غير عيوبها، وعاداتها الضارية، ودعارتها وخرافاتها، فقرّبوا لجميع آلهة آسيا. قرّبوا لعشتروت، ولبَعل، ولمولك، من القرابين ما هو أكثر جدًّا مما قرّبوه لإله قبيلتهم (يَهْوه)... على الرغم من كل إنذار جاء به أنبياؤهم»[2].

هذا التمازج بين بني إسرائيل والكنعانيين هو الذي جعل (ألبرايت) -وهو أشهر الباحثين في آركيولوجيا فلسطين القديمة- يتساءل حول ما إذا كان الإسرائيليون والكنعانيون شعبين متمايزين ومختلفين، وعجز الحفريات الآركيولوجية في فلسطين عن التمييز بوضوح بين ما هو كنعاني وما هو إسرائيلي[3]. «كذلك الأماكن الكنعانية المقدسة لم تلبث إلا وانتقلت إلى الإسرائيليين، كما تحوّل (بعل) الكنعانيين إلى (يَهوه) الإسرائيليين»[4].

(1) سفر القضاة، إصحاح 10، مقطع 8.
(2) لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى (ص31، 32).
(3) طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح (ص23).
(4) فؤاد حسنين علي، إسرائيل عبر التاريخ: في البدء (ص 69).

وقـد أحدث هـذا الامتزاج تغـيّرات جوهرية في حيـاة العبرانيين، فغادر بعضهـم سـكنى الخيام، وشرعـوا يبنون بيوتًـا كبيوت الكنعانيـين. وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية، ولبسوا عوضًا عنها الثياب الكنعانية، المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية[1].

فإذا كان الحال عند بني إسرائيل هو تعدد الآلهة والأرباب، فلماذا تنحصر دعوة إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بإنكار عبادة (بعل) فقط دون ما سـواه. كلّ ذلك يدلنا دلالـة واضحـة على أن إليـاس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يُبعث إلى بني إسرائيـل، وإنما بُعِث لقوم عبدوا البعل بالأصالة والحقيقة.

(1) العارف، المفصل في تاريخ القدس (ص11).

المطلب الخامس

بقاء المعالم الوثنية حتى العصر الحاضر



كانت المعابد والهياكل الوثنية تشيّد على شكل حصون، لتمتنع على العدو ويسهل الدفاع عنها. ومن هنا جاءت فكرة الهيكل القلعة (*acropole*) التي كانت سائدة عند الفينيقيين واليونان وسائر الشعوب القديمة؛ فهياكل بَعْلَبَكّ قلاع مقدسة دينية بناها الفينيقيون على مراحل متعددة، وكانت المرحلة الأخيرة في عهد الرومان، ولكن بناها الفينيقيون أهل البلاد فهندستها فينيقية لا رومانية.

من خصائص الفن الفينيقي أيضًا الواضحة في هياكل بَعْلَبَكّ وغير الموجودة في الهياكل الرومانية الاتجاه نحو الشرق؛ فهياكل بَعْلَبَكّ موجهة نحو الشرق بحيث يغمر النور عند بزوغ الشمس تمثال الإله الموضوع في صدر الهيكل[1].

وبحسب الآثار المكتشفة في (أوغاريت) فإن بعل، هو إله العاصفة والمطر الخصيب، كان ممثلًا وهو يلوّح بالصولجان رمزًا إلى البرق، ومنبتًا أوراق الشجر من الأرض مُعربًا عن ولادة جديدة للغطاء النباتي[2]، وغالبًا ما توّج بالذهب على الطريقة الفرعونية، أو بتاج معهود في بلاد ما بين النهرين.

(1) بطرس ضو، الحصون الفينيقية، من كتاب تاريخ الموارنة، الجزء الأول، موقع ويب: http://www.chahadatouna.com بتاريخ 1/ 5/ 1439هـ.
(2) إسماعيل، خالد سالم، الكنعانيون من الأقوام العربية القديمة في بلاد الشام (ص52).

ويعلّق الأستاذ أنيس فريحة في دراسته للملاحم الأوغاريتية، من حيث الشّكل الذي وجدت عليه، ومدى قيمتها التاريخية والأدبية، على الرّغم ممّا أصابها من التّشوّهات.

والذي يهمنا ما ذكره في (ملحمة البعل)؛ حيث نجده يذكر كثرة التّشوهات التي أصابت اللوحات، وعدم الإدراك اليقيني بترتيب الألواح، ومع ذلك فقد بدت الملحمة في أثناء قراءتها واضحة ومفهومة، وسأقتبس هنا بعض النصوص من ملحمة البعل التي تهمّنا في بحثنا:

النص الأوّل: يتحدّث عن الهزيمة التي مُنِيَ بها الإله يَم [إله العالم السفلي] إثر صراعه ضد البعل، والتي كادت أن تودي به لولا تدخل عشتارت لمنع البعل من قتله، باعتباره أسيرًا.

النص الثاني: يتناول هذا النّص موضوع ظهور البعل على يم، وطلبه من إيل بناء مسكن له بوساطة عناة، فيُجَاب إلى طلبه، كما في النص حديث عن إنذار البعل المرسل إلى موت [إله الموت].

النص الثالث: يتناول موضوع صراع البعل وموت، والذي ينتهي بمأساة نزول البعل إلى العالم السفلي، وهو عالم الأموات، ممّا يجعل عناة تبكيه وتندبه.

النص الرابع: في هذا النّص وصف لحالة عناة غداة رحيل البعل، واستبشارها بعودته، كما يعاود النّص في آخره مشهدًا يصف فيه صراع البعل ضدّ موت.

النّـص الخامس: فيه حديث عن الاحتفال بعودة البعل، وتكرار لطلب البعل من إيل بناء بيت له.

النـص السـادس: يتحـدّث عـن إرسـال إيـل في طلـب إله البنـاء كاشر وخاسـس لكي يبني له بيتًا، ويعلن محبّته ليم، وربّما هذا ما فتح مجال الصراع بين بعل ويم على السلطة.

النص السابع: مضمون النص هو وصف الابتهاج بعودة البعل.

النص الثامن: به إشارة إلى ولادة ثور للبعل من عناة.

النص التاسع: يتحدّث عن زواج البعل من عناة[1].

وقد بقيت آثار الوثنية وعبادتهم للإله (بعل) حتى زمننا الحاضر، فالهياكل الموجـودة اليوم في بَعْلَبَكّ هي من تصميم الفينيقيين، وقد كان من خصائص هندسـة الهياكل عند الفينيقيين إقامة المذبح الأكبر في فناء الهيكل أي السـاحة المكشـوفة أمـام المعبـد لا في المعبـد ذاته، وهذا هـو الوضع في هيـكل بَعْلَبَكّ فالمذبح كان في الفناء المكشوف الممتد أمام (معبد جوبيتر) لا في داخل المعبد، ولم يكـن شيء مـن هذا النـوع في الهياكل الرومانيـة أو الإغريقيـة؛ إذ لم يكن مـن مذبح في الفناء الخارجي؛ ففي هيكل بَعْلَبَكّ أو غيره من العهد الروماني بدون شـك عناصر من الفن الروماني والإغريقي مثل بعض أشكال التيجان وبعض الزخارف والتفاصيل الهندسـية والزخرفيـة، ولكن المجموع فينيقي الصنع، منذ أيام الإله (بعل).

---

(1) أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت، رأس الشمرا (ص46-80).

من الخصائص الفينيقية في هياكل بَعْلَبَكّ أيضًا ضخامة الحجارة المرصوفة بدون طين، وهذا نمط فينيقي محض لا روماني أو إغريقي، فالهياكل والمباني الرومانية في روما وغيرها لا تستعمل أبدًا الحجارة الضخمة ولكن الآجر (القرميد) أو الحجارة الصغيرة الحجم، وأبرز مثال على ذلك هياكل بَعْلَبَكّ وخاصة الجدران السُّفلَى فيها والأساسات، وأقيسة هذه الحجارة خاصة الحجارة الثلاثة المعروفة بالتريليثون(*trilithon*) صارت مشهورة؛ فطول أحدها 19.3م وطول الثالث 19.56م، وعرض كلّ من هذه الحجارة 3.75م وبعلو 4.5م، ووزن كل حجر 750 طنًّا، وكل حجارة الهياكل من الحجم الكبير خاصة الأعمدة المتكونة من حجر واحد وطول كل منها يزيد على السبعة أمتار؛ هذه الضخامة في الحجارة لا توجد في أي بناء روماني، وهي من خصائص البناء الفينيقي[1].

---

(1) بطرس ضو، الحصون الفينيقية، من كتاب تاريخ الموارنة، الجزء الأول، موقع ويب: http://www.chahadatouna.com بتاريخ 1/ 5/ 1439هـ.

المبحث الخامس

المنهج الدعوي في قصة إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ



ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: أساليب ووسائل من خلال الآيات.

المطلب الثاني: مقامات إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومقوّماته.

المطلب الثالث: صفات أتباع إلياس المؤمنين.

المطلب الأول

أساليب ووسائل من خلال الآيات

الناظـر في ثنايـا قصـص الأنبيـاء في القـرآن سـيخرج بيقـين أن كلّ قصة ذكرت إنما جاءت لحكمة وأهداف لا تُغني عنها القصة الأخرى، فالأهداف من قصة نوح تختلف في نواحٍ منها عن قصة موسـى، وقصة موسى عن قصة عيسى عليهم السلام جميعًا... وهكذا.

وقد تأمّلت مليًّا في البحث عن حكمة ذكر قصة إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه في القرآن الكريم، وما الشيء المميّز فيها حتى تذكر، بينما تَرَكَ القرآنُ الحديث عن مئـات الأنبياء الذين تتقارب أهداف قصصهم مـع ما ذُكر في القرآن، فأغنت العبر والحِكم في القصص المذكورة عن تلمّس أخبارٍ ذات أهداف مكرورة.

ورأيتُ أن قصة إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تميّزت بالتالي:

1. عبادة (بعل) من أعظم ما فُتن به الناس في التاريخ عبر مئات السنين، وفي مواقـع شاسـعة مـن العالم. ولا تزال آثاره شـاهدة على ذلـك حتى يومنا هـذا، وما تـزال آثار مدينة بعلبك تـدل على آثار هذه العبـادة. وأصبح مزارًا للسائحين، وكان الأولى أخذ العبرة والعظة من مصير القوم السابقين.

2. لم يكن كُفر قوم (إلياس) من جنس الشرك في العبادة وتوحيد الألوهية، كحـال قوم نوح وهود وصالـح... وغيرهم عليهم السـلام جميعًا. بل ظاهر الآيـة: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [الصافات:125] أنّهـم أشركـوا في توحيـدِ

الربوبية، في جانب الخلق والرزق، وصرفوا العبادة كاملة لبعل لا سواه، مع اعترافهم بأن الله أحسن الخالقين. فهو شرك في الألوهية وفي الربوبية أيضًا، ونوع من الكفر الصارخ بصرف العبادة بالكلية لغير الله.

والناظر في مقاصد سورة الصافات سيجد لها ارتباطًا عميقًا وواضحًا بأهداف قصة إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ثناياها، فقد كان من أعظم مقاصدها إثبات وحدانية الله تعالى، وسوق دلائل كثيرة على ذلك، دلَّت على انفراده بصنع المخلوقات العظيمة التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك. وإثبات أن البعث يعقبه الحشر والجزاء. وقد جاءت قصة إلياس في عمق هذا الهدف، وقد سِيقت في مساق القصص من قبلها وبعدها لتكون نبراسًا لدعوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومه، بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم. وأدمج في خلال ذلك شيء من مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم[1].

وجاءت قصة إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد الكلام على رسل ثلاثة من أصحاب الشرائع: نوح وإبراهيم وموسى، وكانت قصته بداية الخبر عن ثلاثة أنبياء: إلياس ولوط ويونس عليهم الصلاة والسلام، وما لقوه من قومهم، وذلك كله شواهد لتسلية الرسول محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوارع من الموعظة لكفار قريش[2].

ومن قرأ الآيات التي معنا بعينِ البصيرة سيستلهم خطوطًا عريضة في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 82).
(2) المرجع السابق (23/ 165).

منهج نبي الله إلياس في الدعوة إلى الله سبحانه، وكثير منها يتفق مع منهج غيره من الأنبياء، فتشكّل بذلك طريقًا مضيئًا لمن أراد أن يسلك دروب الأنبياء واقتفاء آثارهم والاقتداء بهداهم، ولعلّ أهمّ ما توصّل إليه الباحث في منهج إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ من خلال الآيات، ما سيذكره على سبيل التقريب لا الترتيب، فكان كالتالي:

1. البدء في الدعوة بأهمّ المهمات:

فدعاهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ ونهاهم عن عبادة ما سواه، وأن يتركوا عبادة صنمهم[1]. وبدأ بأهم المهمات، وهو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وترك الشرك به؛ فهو سبحانه ربهم الذي خلقهم، وتفضّل عليهم بالنعم.

ويتضح من سياق الآيات أن مدار التقوى هو توحيد الله، والالتجاءُ إليه، والبُعد عن كل ما سواه، والرجوع إلى الله في كل شيء، والاعتماد عليه في كل حال[2].

والاستفهام هنا: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [الصافات:125] للتوبيخ والإنكار والتسفيه، و(تدعون) بمعنى تعبدون، فإن الدعاء يسمَّى عبادة، كما قال سبحانه:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ... ﴾ [غافر:60]، ولم يقل: (عن دعائي)، وهذا يدلُّ على أن الدعاء يراد به العبادة. ويحتمل أن يكون المراد بدعوتهم هذا الصنم دعوة المسألة وأنهم يستغيثون بهذا الصنم وإن لم يركعوا له ويسجدوا له[3].

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 20).

(2) ابن عجيبة، البحر المديد (4/ 617).

(3) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص274).

ويظهر من اسمه (إلياس) بحسب النص اليوناني أو (إيلياء) العبراني أن رسالته جاءت مطابقة لمعنى اسمه: الرب هو إلهي. فمن اسمه كان هدفه الأسمى: الله هو معبودي لا معبود سواه. ولذلك كان صادحًا وصادعًا بالتوحيد في وجه الوثنية، فمن الله قوّته، ومن الله إعانته.

وظاهر الآية أن هؤلاء كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، ويرون أن (البعل) هو الرب الذي يجب أن يُطاع وأن يخشى، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [الصافات:125] على ظاهره.

ويحتمل أنهم يدعون البعل ويدعون الله، ولكن من دعا غير الله ودعا الله فإن الله غني عنه، فيكون كالتارك لدعاء الله، وعلى هذا فيكون إلياس جعلهم تاركين لله؛ لأنهم أشركوا به، ومن أشرك بالله معه غيره فالله غني عنه وكأنه لم يعبد الله، وعلى هذا فإما أن يكونوا قد تركوا الله على سبيل الحقيقة إذا كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، وإما أن يكونوا قد تركوا الله على سبيل الحكم إذا كانوا يعبدون البعل ويعبدون الله[1].

2. أسلوب المقارنة بين المعبودات:

ففي قوله: ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ يقول: وتَدعون عبادة أحسن مَن قيل له خالق[2]. ولعلّ الآية تشير أيضًا حسب الظاهر إلى الأشياء التي يصنعها الإنسان بعد أن يغيّر شكل المواد الطبيعية، ومن هنا سمّي بالخالق، رغم أنّه تعبير مجازي. ورأي ابن عطية يؤيد أنه من حيث قيل للإنسان على

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص275).
(2) تفسير الطبري (21/ 96).

التجوز إنه يخلق، وجب أن يكون تعالى ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾؛ إذ خلقه اختراع وإيجاد من عدم وخلق الإنسان مجاز[1].

3. وصف الله بما يناسب أن يتوجهوا إليه بالعبادة:

وأهم تلك الصفات:

(أ) الخلق. (ب) الرزق.

لأن الداعي لا يدعو إلا بكشف ضر أو إلباس نفع، فكان لا يجوز أن يدعو إلا من يقدر على إعدام ما يشاء وإيجاد ما يريد، وهذا سبب استخدام إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عبارة: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ وهو من لا يحتاج في الإيجاد والإعدام إلى أسباب.

فالعدول عن اسم (الله) الذي يختص به إلى عبارة ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، لا بد له من حكمة، والحكمة هنا هي إقامة الحجة عليهم بعدم صلاحية معبودهم للعبادة؛ لأنه لا يستطيع الخلق، والله وحده هو الذي يقدر على الخلق، فالله تعالى أحسن الخالقين، وكلّ من خلق شيئًا فالله تعالى أحسن منه خلقًا[2].

ولما كان الإنسان يعلم يقينًا أنه لم يربّ نفسه، بل ربّاه الله ورزقه، وكان الإحسان أعظم عاطف للإنسان، فقد بيّن إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لهم ذلك، مذكرًا لهم بإحسان الله إليهم بالتربية بعد الخلق من العدم وهي أعظم تربية[3].

إن استخدام إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لهذه المعاني لهو أفضل منبّه للعقل والتفكير،

(1) تفسير ابن عطية (4/ 484).
(2) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص274).
(3) البقاعي، نظم الدرر (16/ 285).

فأهمّ قضيّة في حياة الإنسان هي أن يعرف من الذي خلقه؟ ومن هو مالكه ومربّيه ووليّ نعمته؟

4. حسن طريقة العرض:

فالملاحظ أنه استخدم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ وابتعد عن الأمر المباشر الذي قد يؤدّي إلى تنفير المخاطب. و(ألا) هنا أداة تحضيض وحث، وليست أداة عرض فقط؛ لأنه لا يقصد عرض التقوى عليهم، ولكنه يحضّهم على هذا.

وهذا يدلّ على تلطف إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دعوة قومه؛ لأنه قال ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، وهذا للعرض والحث، ولم يقل لهم: اتقوا الله. مع أن باستطاعته أن يأمرهم، ولكن ينزّل كل مخاطب وكلّ حال بمنزلته وبما يليق به، وبحسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة.

والصحيح في مفعول التقوى ههنا أنه عام، فكأنه يقول: ألا تتقون الله، ألا تتقون النار، ألا تتقون يوم الحساب. فحذفت الآية المفعول لتشمل كل ذلك، ولا ينبغي إذا دلت الآية على معنى أعم أن نقيدها بمعنى أخصّ؛ لأن هذا يعتبر نقصًا في تفسير الآية بل إذا جاءت الآية عامة فلتبق على عمومها، وإذا جاءت مُطلقة فلْتَبْقَ على إطلاقها[1].

5. الحثّ والاستعطاف:

وذلك بذكر معبود آبائهم الأولين، وهو الله سبحانه: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيناديهم النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ذلك معبودكم أيها الناس

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص273، وص281).

الذي يستحق منكم العبادة: ربكم الذي خلقكم، وربّ آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئًا، ولا يضرّ ولا ينفع[1]. قرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ﴾ كلُّ ذلك بالنَّصبِ بَدَلًا أو صفة لأحسن الخالقين، ليكون الكلام فيه وجه واحد، وقرأ الباقونَ كلَّ ذلكَ بالرفعِ على القَطْعِ والاستئناف[2]. وقد رُوي عن حمزةَ أنَّه كان إذا وَصَلَ نَصَبَ، وإذا وَقَفَ رَفَع. وقد استحسنها السمين الحلبي جدًّا، وزعم أن فيها جَمْعًا بين الرِّوايَتين[3].

وقال الطبري بعد ذكره للقراءتين: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مع استفاضة القراءة بهما في القرّاء، فبأي ذلك قرأ القارئ فمُصِيب[4]».

والمراد هنا: كلّ من هو أول لهم، فشمل ذلك آباءهم الأقربين، ومَن قبلهم إلى آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[5]. والظاهر هنا أنّ المشركين في زمان إلياس، قالوا -كما قال المشركون في زمان نبيّنا محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنّنا نتّبع سنن أجدادنا الأوّلين، فأجابهم إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

---

(1) تفسير الطبري (21/ 99).
(2) ابن مجاهد، السبعة (ص549)، أبو الطاهر، العنوان في القراءات (ص162)، ابن زنجلة، حجة القراءات (ص610).
(3) السمين الحلبي، الدر المصون (9/ 328).
(4) تفسير الطبري (21/ 99).
(5) البقاعي، نظم الدرر (16/ 286).

كما أن في ذكر الآباء الأولين إشارة إلى أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي بيده خلق الحياة والموت، فإن هؤلاء الآباء الأولين أماتهم الله، فيذكّر هؤلاء بأنهم سوف يموتون كما مات آباؤهم الأولون. والإنسان إذا كان له قلب وذُكِّرَ بالموت، وأنه سوف ينتقل من حياة العمل إلى حياة الجزاء فلابد أن يلين قلبه، وأن يعمل للدار المستقبلة[1].

6. ذكر سبب الإنكار:

فهو حين قال لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ «فإن ما أنتم عليه يقتضي شرًّا طويلًا، وعذابًا وبيلًا، وما أنتم عليه من السكون والدعة يقتضي أنه لا خوف عندكم أصلًا، وذلك غاية الجهل والاغترار بمن تعلمون أنه لا خالق لكم ولا رازق غيره. ولما كان هذا الإنكار سببًا للإصغاء، كرره مُفصحًا بسببه فقال: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾[2]». يقول الرازي: «﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أَيْ: أَلَا تَخَافُونَ اللهَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ أَلَا تَخَافُونَ عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا خَوَّفَهُمْ أَوَّلًا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ ذَكَرَ مَا هُوَ السَّبَبُ لِذَلِكَ الخَوْفِ فَقَالَ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[3]».

والذي يلفت الانتباه هنا أن النصّ القرآني ذكر اسم الصنم صريحًا (بعل)، بينما أغفل في أغلب قصص الأنبياء ذكر معبودات أقوامهم -سوى قوم نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام-، ولعلّ السرّ في ذلك يرجع إلى ثلاثة أمور:

---

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص277).
(2) البقاعي، نظم الدرر (16/ 284).
(3) تفسير الرازي (26/ 353).

1. افتتان كثير من الناس بهذا الصنم، فهو معبود بلاد الشام جميعها: أي سورية ولبنان وشرق الأردن وفلسطين قبل الميلاد المسيحي، وكان كذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق أيضًا؛ حيث يبدو أنه من آلهة الجنس العربي الرئيسة[1].

2. استمرار الفتنة به أزمنةً متطاولة.

3. كانوا يرون فيه أنه المتصرف في أحوال العالم من دون الله، استقلالًا لا تبعًا؛ حتى تركوا عبادة الله بالكلّية.

7. استخدام الحجج العقلية:

لقد كان أسلوب إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائمًا على الإقناع؛ حيث بنَى استفهامه باستغراب من قومه الذين كانوا يعبدون إلهًا من دون الله، ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات:125، 126]، وكأنه يقول لهم: كيف للعقلِ الإنساني الذي خلقه الله في أحسنِ تقويم أن يقبل عبادة صنم من صنع يديه، ويترك عبادة من خلقه ابتداءً، ورزقه وربّاه، فيا للغرابة!

ومن أجلِ الوصول إلى الإقناع الفكري السليم، وحتى يكون لدى الفرد قناعة حقيقية من داخل نفسه، فإنه ينبغي أن نسلك مسلك النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي ناقش وأقنع بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن[2].

---

(1) محمد عزة دروزة، التفسير الحديث (4/ 229).
(2) حبنكة، الأخلاق الإسلامية (1/ 205)

8. الوصف البيّن للمنكر الواقع مع فصاحة اللسان:

الفصاحة: ملكة تُعين صاحبها على أحسنِ التعبير عن المقصد في سهولة ويسر. وتعدّ الفصاحة والقدرة على البيان من أهمّ المقوّمات الأساسية المطلوب توافرها لدى كلّ داعية. وهذا أمر معلوم بداهة؛ إذ إنَّ مباشرة الأفراد بالخطاب مما يرسخ صورة واضحة عن شخصيّة القائد لدى أتباعه، كما أنه يساهِمُ في توضيح الأفكار بشكل كبير. ويبقى أيضًا مع ذلك أن البيان والخطاب، كلما كان فصيحًا بليغًا كان له تأثير ووقع على نفوس المستمعين وقلوبهم. وصدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «**إن من البيان لسحرًا**»[1].

«وكَانَ المُلَقَّبُ بِالرَّشِيدِ الْكَاتِبِ يَقُولُ لَوْ قِيلَ: أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَدَعُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ. أَوْهَمَ أَنَّهُ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَحْصُلُ فِيهِ رِعَايَةُ مَعْنَى التَّحْسِينِ وَجَوَابُهُ: أَنَّ فَصَاحَةَ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ لِأَجْلِ رِعَايَةِ هَذِهِ التَّكَالِيفِ، بَلْ لِأَجْلِ قُوَّةِ المَعَانِي وَجَزَالَةِ الْأَلْفَاظِ[2]».

وقد أطال الألوسي في الجواب عن ذلك بتسعة أجوبة ولم يرجح بينها، ولعلّ أحسنها: «أنّ(يدع) أخصّ من (يذر)؛ لأنه بمعنى ترك الشيء مع اعتناء

(1) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب الطب، باب (**إن من البيان لسحرًا**) (10/ 202)، حديث رقم (5434)؛ ومالك في (الموطأ)، كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، برقم (1783)، (2/ 986)؛ وأبو داود في (سننه)، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشدق بالكلام، برقم (5009)، (4/ 459)؛ والترمذي في (سننه)، كتاب البر، باب ماجاء في أن من البيان لسحرًا، برقم (2029).

(2) تفسير الرازي (26/ 354).

به، بشهادة الاشتقاق نحو الإيداع فإنه ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها، ولهذا يختار لها من هو مؤتمن، ونحوه موادعة الأحباب، وأما (يذر) فمعناه الترك مطلقًا أو مع الإعراض والرفض الكلي؛ إذ المراد تبشيع حالهم في الإعراض عن ربهم[1]». وهو المعنى الذي أكّده البقاعي بقوله: «ومادة (وَذَر) تدور على ما يكره، فالمعنى: وتتركون ترك المهمل الذي من شأنه أن يزهد فيه، ولو قيل: وتدعون – تهافتًا على الجناس لم يفد هذا وانقلب المراد[2]».

9. التخويف من الله:

ففي قوله سبحانه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه[3]. وإنما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة، أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عُرفًا[4]. والفاء هنا للسببية: أي: فبسبب تكذيبهم إنهم لمحضرون، أي محضرون إلينا يوم القيامة وسيجازون على ذلك، وأما قول من قال أنهم محضرون في النار ففي ذلك نظر؛ لأنه لم يسبق للنار ذكر، والله توعد هؤلاء بأنهم سوف يحضرون إلى الله وسوف يجازيهم. وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعًا، والمعنى: لكن عباد الله المخلصين سوف ينجون من هذا الحضور، أي من العذاب الذي يترتب على هذا الحضور[5].

---

(1) تفسير الألوسي (12/ 133-134).
(2) البقاعي، نظم الدرر (16/ 285).
(3) تفسير الطبري (21/ 99).
(4) تفسير البيضاوي (5/ 17).
(5) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص278).

والإحضار في حدّ ذاته أمام ربّ العالمين، فيه ما فيه من التخويف والترهيب؛ حيث لا مفرّ ولا مهرب، ويترقّب حينها المسيء عقوبته، ويلقى جزاءه، فالمؤدى واحد في الإحضار. خصوصًا وأن فعل (الإحضار) نُسب إلى المجهول، فالمشرك أحقر من أن ينسب الله إحضاره لذاته العليّة، وكم من جند الله من هو مستعدّ لهذه المهمة وهذا التكليف! والمشرك في كلّ حال مُحضرٌ لا محالة أمام مالك يوم الدّين. وقد تأكد إحضاره بمؤكدين من الحروف (إنّ) و(اللام): ﴿ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾.

وقيل: إن الله لم يهلك قوم إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المكذبين بدعوته، فقد قيل إنه بعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال، وقد بعث الله في كل أمة نذيرًا، وبالطبع أن إلياس بعد موسى، لذا فقومه لم يهلكوا لذا قال الله فيهم ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[1].

وعلّل الزركشي هذا الرأي بقوله: أن الله تعالى قال في سورة الصافات: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:84]، وهذا يقتضي عاقبة رديئة، ولهذا ذكر قصة إلياس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه بل قال: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[2].

و(الفاء) في قوله ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾، تدلّ على الترتيب والتعقيب لا التراخي، ومع ذلك لا بدّ من وجود مهلة مناسبة بين المعطوف عليه قد تقصر أو تطول؛

(1) الزركشي، البرهان (3/ 31).
(2) المرجع السابق (3/ 30-31).

إذ الزمـن متروك لـكل شيء بحسـبه؛ لأن ذلك أمر نسـبي يختلف باختلاف الاعتبـار[1]. وهـي هنا دالّـة على التكذيـب السريع بدعـوة إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ودليل على أن الإنسـان مهما بلغ في عرض الدعوة إلى الله وبيانها والعظة فإنه لا يستلزم أن يؤثر فيمن وجه الخطاب إليه؛ لأن إلياس عرض الدعوة عرضًا رقيقًا وبيَّنَ لهم الأدلة على أن الله وحده مستحق للعبادة، ومع ذلك كذبوه.

فلم يكُ إلياس مقصرًا ولا فشـل في دعوته؛ لأنه أدى ما عليه وهو البلاغ والهداية، فلو أراد الله بهؤلاء خيرًا لانقادوا للهدى[2].

(1) ابن هشام، مغني اللبيب (ص214).
(2) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص283).

المطلب الثاني

مقامات إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومقوّماته



برزت ضمن الآيات -رغم قصرها- مقامات ومقوّمات لإلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وترتّب عليها جزاءات يانعات.

أما المقامات فكانت كالتالي:

1. العبودية لله:

وقد جاء وصفه بذلك في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾، ومقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها[1]، وذِكر إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بوصف العبودية المضافة لله تعالى تنويه به وتقريب، وذلك اصطلاح غالب في القرآن في إطلاق العبدِ والعبادِ مضافاً إلى ضميره تعالى كقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ ﴾ [ص:17]، وقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ [ص:45]، وقوله: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ [الزخرف:68][2].

2. الإيمان:

وقد جاء في الآية: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، والمراد الثناء عليه بهذا المقام والمنزلة، وإذا علق الثناء أو علق الحكم على وصفٍ فإنه يقوى بقوته ويضعف

(1) الشنقيطي، أضواء البيان (3/ 8).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 29-30).

بضعفه، والثناء معلَّق هنا بالعبودية والإيمان، فكلما كان الإنسان أقوى عبادة كان أحق بالثناء، وكلما كان الإنسان أقوى إيمانًا كان أحق بالثناء[1].

3. الإحسان:

وهو ملمح واضح من قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، ومقام الإحسان هو لبّ الإيمان، وروحه وكماله، وهذا المقام يجمع جميع المقامات الفاضلة، فجميعها منطوية فيه[2].

فالإحسان يشمل الإحسان في العبادة، ويشمل الإحسان إلى الخلق بالدعوة؛ لأن الإحسان نوعان؛ الأول: الفعل الحسن، والإحسان الثاني: إعطاء الحسن وهو الخير، فالأول من قولهم: أحسنوا في كذا، والثاني من قولهم: أحسن إلى فلان[3].

ولا شكّ أن الإيمان والعبودية لله هما منبع الإحسان، والإحسان يؤدّي إلى انضمام المحسن لصفوف المخلصين الذين يشملهم سلام الله.

أما المقوّمات في الآيات فكانت:

1. الرسالة:

ولذلك سمّى الله النبي إلياس في سورة الصافات بأنه (مرسل) أي رسول: ﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾، وهو الأمر الذي دفع ابن حجر

---

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص258).
(2) ابن القيم، مدارج السالكين (2/ 459).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (28/ 271).

ليردّ على من زعم أنه ليس بنبي بقوله: «وأغرب ابن التين فجزم أن إلياس ليس بنبي، وبناه على قول من زعم أنه أيضًا حي، وهو ضعيف أعني كونه حيًّا، وأما كونه ليس بنبي فنفي باطل، ففي القرآن العظيم ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فكيف يكون أحد من بني آدم مرسلًا وليس بنبي؟»[1].

ولعلّ من زعم أنه ليس بنبي اتّكأ أيضًا على وصفه بالصلاح فقط في قول المولى عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام:85]، وهي نظرة مجتزأة، لا السياق يخدمها، ولا ما ورد في الآيات الأخرى بسورة الصافات، فثناء الله عَزَّوَجَلَّ على هؤلاء الأنبياء المذكورين في الآية ومنهم إلياس -عليهم السلام أجمعين- بأنهم من الصالحين، يقتضي أن الله هيأهم بصلاحهم لحمل الرسالة والنبوة.

والقرآن يردّ بشكل جليّ على من زعم أن الأنبياء لم يؤمروا بالتبليغ، فإذا لم يقم الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بواجب التبليغ فمن الذي سيقوم به إذن. وكل الرسل أنبياء وكل الأنبياء صالحون، وكل الصالحين مأمورون بالتبليغ ما دام الصلاح في قلوبهم وأعمالهم.

2. الصلاح:

وصف الله سبحانه إلياس في سورة الأنعام بأنه (من الصالحين)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنعام:85]،

---

(1) ابن حجر، فتح الباري (9/ 262).

فقـد عدّ إلياس رديف زكريّا ويحيى وعيسـى عليهم جميعًا السـلام، وفي هذا إشارة الى أنّ هدايته واجتباءه وتفضيله كان من نوع هدايتهم عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وهـذا المعنى منظور في كلّ مورد ذكرت أسـماء الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ في مقام ذكر فضلهم واجتبائهم وهدايتهم وكيفيّة سلوكهم والعمل برسالتهم، وليس في الآيـات دلالـة على تقـدّم زمانهم أو تأخّره، فإنّه أمر مـادّي تاريخي لا ربط فيه إلى النبوّة والرسالة والهداية والتبليغ. فيُستفاد من الآية الكريمة أنّ إلياس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان في حالـة مـن التجرّد والانقطاع والتوجّه التـامّ والتبتّل الخالص والعبوديّة الكاملة[1].

ومـن الخطأ اعتقـاد أن الصالح قد يكون صالحًا في نفسـه فقط، بدون أن يكـون له دور في إصـلاح الآخرين. فإن من مقتضى الصـلاح قيامه بواجب الإصـلاح لمجتمعه وقومه، وإلا لم يكن صالحًا بالمعنى الكامل. ولا يمكن أن تقبل عقيدة القرآن بوجود انفصام بين الصلاح والإصلاح.

أمّا الجزاءات والنتائج فكانت كالتالي:

1. جزاء المحسنين:

وذلـك أن الجـزاء من جنـسِ العمـل ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ فكما أحسـن إليـاس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في عبادة الله فقد أحسـن الله إليـه، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في سـورة الرحمـن ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن:60] يعني ما جزاء الإحسـان إلا الإحسـان[2]. وقد بينّ الله عظيم فضله على عباده الذين

---

(1) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم (1/ 140).

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص253).

أحسنوا؛ حيث يجزيهم بالحسنى وزيادة كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26].

2. بقاء الثناء عليه إلى يوم الدين:

ففي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده[1]. وقد قال جماعة من المفسرين منهم مجاهد وغيره: وتركنا عليهم في الآخرين الثناء الحسن ولسان الصدق للأنبياء كلهم، وهذا قول قتادة أيضًا، وتفسير المتروك هنا بلسان الصدق والثناء الحسن تفسير بلازم السلام وموجبه، وهو الثناء عليهم وما جعل لهم من لسان الصدق الذي لأجله إذا ذكروا سلم عليهم[2].

وقد جاء الثناء على إلياس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بسبب ما اتصف به من كمال الإحسان وتمام العبودية والإيمان، وجهاده في الدعوة إلى التوحيد؛وكلّ من اتصف بذلك ناله من الثناء بقدر ما اتصف به، ولذلك كان الثناء على إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أكثر وأعظم. وهذا الثناء يشمل كل الأزمنة ممن سيأتي بعده إلى يوم الدين[3]؛ أي إنّ الأمم القادمة سوف لن تنسى الجهود الكبيرة التي بذلها الأنبياء الكبار من أجل حفظ التوحيد، وسقاية شجرة الإيمان، وما دامت الحياة موجودة في هذه الدنيا فإنّ رسالتهم ستبقى حيّة وخالدة. وسيبقى

(1) تفسير الطبري (21/ 99).
(2) ابن القيم، جلاء الأفهام (ص457).
(3) البقاعي، نظم الدرر (16/ 286).

الثناء عليهم حسنًا وسلامًا في الآخرين بما حصل منه من كمال الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

3. سلام الله عليه:

وذلك ظاهر من قوله سبحانه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾، والسلام من الله تعالى يعني السلامة من النقائص والعيوب التي تعتري البشر، ومن الثناء القبيح الواقع عليه من غيرهم[1].

أما السلام من البشر فهو اسم جامع لكلّ خير؛ لأنه إظهار الشرف والإقبال على المسَلّم عليه بكل ما يريد[2]، وهذا المعنى قد جاء في قراءة ابن مسعود [وتركنا عليه في الآخرين. سلامًا...] بالنصب، ويظهر لنا بهذه القراءة معنى جديدًا آخر، فهو يدلّ على أن المتروك هو السلام نفسه. ولو كان السلام منقطعًا مما قبله لأخلّ ذلك بفصاحة الكلام وجزالته، وتأمل هذا بحال السامع إذا سمع قوله: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ كيف يجد قلبه متشوقًا متطلعًا إلى تمام الكلام واجتناء الفائدة منه، ولا يجد فائدة الكلام انتهت وتمت ليطمئن عندها بل يبقى طالبًا لتمامها وهو المتروك.ومعلوم أن هذا السلام هو سلام العالمين عليه، كلهم يسلم عليه ويثني عليه ويدعو له فذكره بالسلام عليه فيهم[3].

---

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص246).
(2) البقاعي، نظم الدرر (16/ 286).
(3) ابن القيم، جلاء الأفهام (ص 458-461).

وحتى على قراءة (آل ياسين) يدخل النبي إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ دخولًا أوليًّا ولا شكّ في ذاك، قال النحاس: «كأنه والله أعلم جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم على آله؛أي: أهل دينه ومن كان على مذهبه، وعلم أنه إذا سلَّم على آله من أجله فهو داخل في السلام؛كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**»[1] فهو داخل فيهم؛ لأنه هو المراد بالدعاء، وقال جلّ وعزّ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:46]»[2].

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة رقم الحديث (1590)، وابن ماجة في سننه، كتب الزكاة رقم الحديث (1796).

(2) النحاس، إعراب القرآن (3/ 294).

المطلب الثالث

صفات أتباع إلياس المؤمنين

أشـارت الآيات إشـارة واضحة إلى أتباع إليـاس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المؤمنين الذين استجابوا لدعوته، في ثلاث آيات:

1. ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وهي صريحة فيهم.
2. ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ وهي صريحة على قراءة (آل)، ووجه في توجيه قراءة (إلياسين).
3. ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فقد جاءت بعد: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ فدلّت على أنهم يدخلون ضمنًا في منزلة ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

وهـذه الآيـات الثلاثـة تضمنت ثلاث صفـات لهم، ونتيجـة رفع الله بها ذكرهم وأعلى شأنهم، وخلّد بها في القرآن موقفهم، وهي كالتالي:

1. العبودية لله:

ففـي قوله: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يقول: فإنهم يحضرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب[1]. والأقرب في هؤلاء أنهم الذين علموا ما لهم من مجامع العظمة فعملوا بما علموا فلم يدعوا غيره سبحانه ولم يكذبوا؛ وقد وصفهم الله بما أشـار إليه من الوصـف بالعبودية والإضافة إلى الاسم الأعظم فقال: ﴿ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ ثم وصفهم بـ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أي لعبادته

(1) تفسير الطبري (21/ 99).

فلم يشركوا به شـيئًا جليًّا ولا خفيًّـا، فإنهم ناجون من العذاب[1]. وربما كان التوحيد موجودًا فيهم من سـابق والشرك طـارئ، وقد بقيت منهم بقية على التوحيد، وهو ما أشار إليه الرازي[2].

وكـما أن في الآيـة بيـان أن العباد المخلصين لا ينالهم عـذاب هؤلاء، لكن ذلـك العذاب هو الـذي يكون في الآخرة قطعًا، أما في الدنيا فإنه يوشـك أن يعمّ الله تعالى الصالح والفاسـد بالعذاب ولاسيما إذا قصّر الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

وقد رأى بعض المفسرين في الاسـتثناء أنه اسـتثناء منقطـع من مثبت[4]. والصحيـح أنه «اسـتثناءٌ متصـلٌ مِنْ فاعلِ ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ وفيـه دلالةٌ على أنَّ في قومِه مَنْ لم يُكَذِّبْه، فلذلك اسْـتُثْنوا. ولا يجوزُ أَنْ يكونوا مُسْـتَثْنَيْن مِنْ ضمير ﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴾؛ لأنه يَلْزَمُ أَنْ يكونوا مُنْدَرجين فيمَنْ كَذَّبَ، لكنهم لم يُحْضَروا لكونِهم عبادَ اللهِ المُخْلِصين. وهو بَيِّنُ الفسادِ. لا يُقال: هو مستثنى منه استثناءً منقطعًا؛ لأنه يَصيرُ المعنى: لكنَّ عبادَ اللهِ المخلصين من غير هؤلاء لم يُحْضَروا. ولا حاجةَ إلى هذا بوجهٍ؛ إذ به يَفْسُدُ نَظْمُ الكلامِ[5]».

(1) البقاعي، نظم الدرر (16/ 286).
(2) تفسير الرازي (26/ 354).
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (ص284).
(4) تفسير ابن كثير (4/ 20)
(5) السـمين الحلبـي، الدر المصـون (9/ 328)، وكلامه مسـتقى مـن كلام أبي حيـان، البحر المحيط (9/ 122).

وحاصل هذا أن الله وصفهم بصفة: العبودية لله. والعبودية نوعان: عامة وخاصة؛ فالعبودية العامة عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك. وأما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر؛ وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة؛ لأن أصل معنى اللفظة الذل والخضوع، يقال: طريق معبّد إذا كان مذللًا بوطء الأقدام، وفلان عبّده الحب إذا ذلّله، لكنّ أولياءه خضعوا له وذلّوا طوعًا واختيارًا وانقيادًا لأمره ونهيه، وأعداءَهُ خضعوا له قهرًا ورغمًا.

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته، ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقًا كهذه الآية إلا لهؤلاء[1].

2. الاصطفاء والإخلاص:

فقد وصفهم سبحانه بـ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، وهي صفة (عباد الله)، وهو بفتح اللام: إذا أريد الذين أخلصهم الله لولايته، وبكسرها: أي الذين أخلصوا دينهم لله. فقرأه نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بفتح اللام. وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بكسر اللام[2]. «وَالْمَعْنَى عَلَى قِرَاءَةِ الْكَسْرِ: أَنَّهُمْ أَخْلَصُوا للهِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الْفَتْحِ: أَنَّ اللهَ اسْتَخْلَصَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ[3]».

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (1/ 105-106).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 30).
(3) الشوكاني، فتح القدير (4/ 470).

وحقيقة الفرق بينهما: أن الصادق والمخلِص بالكسر من باب واحد، وهو من تخلّص من شوائب الصفات النفسانية مطلقًا، والصدّيق والمخلَص بالفتح من باب واحد وهو من تخلَّصَ من شوائب الغيرية أيضًا، والثاني أوسع فلكًا، وأكثر إحاطةً، فكل صدّيق ومخلَص هو في حقيقته صادق ومخلِص من غير عكس، فرحم الله حفصًا حيث قرأ بالفتح حيثما وقع في القرآن[1]؛ فيكون المعنى: إلا عبادك الذين استخلصتهم لطاعتك، وصنتهم عن اقتراف ما نهيتهم عنه.

والمخلَص هو المصطفى، كقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:59]، فاصطفاء الله لهم فيه من التنويه بشأن عباد الله المخلصين، ومن المديح لهم بقوة الإيمان، وعلوّ المنزلة، وصدق العزيمة وضبط النفس، وفي ذلك إشارة إلى أعلى مراتب التكريم.

كما أن الله قد بيّن جزاءهم في الآيات السابقة لقصة إلياس من نفس السورة حيث قال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:40-49].

فهم في الملإ الأعلى، ويا له من تكريم! ثم إن لهم وهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾. وهم يخدمون فلا يتكلّفون شيئًا من الجهد في دار الراحة والرضوان والنعيم:

(1) إسماعيل حقي، روح البيان (7/ 458).

وتلـك أجمل أوصـاف الشراب التي تحقق لـذة الشراب وتنفـي عقابيله، فلا خمـر يصدع الرءوس، ولا منـع ولا انقطاع يذهب بلذة المتـاع! حور حييّات لا تمتدّ أبصارهن إلى غير أصحابهن حياء وعفة، مع أنهنّ ﴿عِينٌ﴾ واسـعات جميـلات العيون! وهن كذلـك مصونات مع رقة ولطـف ونعومة: لا تبتذله الأيدي ولا العيون!

3. الإحســان:

والإحسان هنا بمعناه الواسع الذي يشمل العمل بكلّ السنن والواجبات، ومن ثمّ الجهاد ضدّ كافّة أشكال الشرك والانحراف والذنوب والفساد.

★ ثـم كانـت النتيجـة أن أثنـى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عـلى آل ياسـين، فقـال سـبحانه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾. والسـلام على أتباع إلياس يظهر من توجيه القراءتين:

(أ) فعلــى قراءة من قرأ (آل ياســين): فالتوجيـه ظاهر وجليّ، وقد قال أصحاب سـعد بـن أبي وقاص وابن عمر وأهل الشـام في (آل ياسـين):أنهم قومـه ومـن كان عـلى دينـه واحتجـوا بالقـرآن ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:46]»[1].

ولكـن بعض المفسرين أغـرب في توجيه هذه القراءة فقال: إن (ياسـين) اسم أبي إلياس، فأضيف إليه (آل)[2]، وهو ما رجحه الرازي[3].

(1) أبو عبيدة، مجاز القرآن (2/ 174).
(2) تفسير النسفي (4/ 27)، تفسير الألوسي (23/ 141).
(3) تفسير الرازي (26/ 141).

وقيل: إن (ياسين) اسم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فيكون آل ياسين أي آل محمد[1]، وهو ما جزم به أبو القاسم النيسابوري في تفسيره[2].

واستبعد ابن حجر هذا التوجيه بـ «أنَّ الله تعالى إنما أخبر في كل موضع ذكر فيه نبيًّا من الأنبياء في هذه السورة بأن السلام عليه فكذلك السلام في هذاالموضع على إلياس المبدوء بذكره[3]». وكذلك الواحدي من قبله؛ حيث قال: وهذا بعيد؛ لأن ما بعده من الكلام وما قبله لا يدلّ عليه[4].

(ب) وعلى قراءة (إلياسين): فالتوجيه يكون على قول من ذكر أنها جمع، فتجعل أصحاب إلياس داخلين في اسمه، فيراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين المخلصين فإنهم الأحقاء بأن ينسبوا إليه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: جاءتكم المهالبة والمهلبون، تريد المهلب ومن معه، وكما تقول: رأيتُ المحمدين، تريد محمدًا وأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5].

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 21)، تفسير القرطبي (15/ 120)، ابن الجوزي، زاد المسير (7/ 84).

(2) أبو القاسم النيسابوري، إيجاز البيان (2/ 703).

(3) ابن حجر، فتح الباري (6/ 373).

(4) الواحدي، البسيط (19/ 103)، وكذلك: الفراء، معاني القرآن (2/ 293)، السمرقندي، بحر العلوم، (3/ 123)، تفسير البغوي (4/ 41)، تفسير القرطبي (15/ 119). وأطال السهيلي في إبطال هذا القول في التعريف والإعلام (ص148)، وأورد الأدلة على ذلك.

(5) الفراء، معاني القرآن (2/ 391-392)، تفسير الطبري (23/ 94)، تفسير الماوردي (5/ 65)، تفسير الألوسي (23/ 141)، تفسير القرطبي (15/ 119)، تفسير ابن الجوزي (7/ 82).

وقال ابن الهائم الجياني: (إلياسين) يعني إلياس وأهل دينه، جمعهم بالياء والنون كأن كل واحد منهم اسمه إلياس[1]. وطبقًا لهذا يفهم منها أنها تخصّ كلّ الذين أطاعوا إلياس والتزموا بنهجه. قال الطبري ناقلًا عن بعض أهل العربية: «وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعًا، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه... فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه[2]». وردّه الزمخشري بأنه لو كان جمعًا لعرّف بالألف واللام[3]. وأيّده السمين الحلبي في ذلك[4]، «لكن هذا غير متفق عليه، قال ابن يعيش في شرح المفصل: يجوز استعماله نكرة بعد التثنية والجمع نحو زيدان كريمان وزيدون كريمون وهو مختار الشيخ عبد القاهر[5]».

وقد وقع اختلاف بين أهل التفسير في تحديد المراد من (إل ياسين)، وهل هو فرد أم جماعة؟ وإن كان فردًا فمن ذاك المقصود؟ وقد قال ابن القيم بعد أن استعرض الأقوال: «والصواب- والله أعلم- في ذلك أن أصل الكلمة (آل ياسين) كآل إبراهيم، فحذفت الألف واللام من أوله لاجتماع الأمثال، ودلالة الاسم على موضع المحذوف. وهذا كثير في كلامهم، إذا اجتمعت الأمثال كرهوا النطق بها كلها، فحذفوا منها ما لا لبس في حذفه، وإن

(1) ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن (1/ 354).
(2) تفسير الطبري (21/ 102).
(3) تفسير الزمخشري (4/ 60).
(4) السمين الحلبي، الدر المصون (9/ 329).
(5) تفسير الألوسي (12/ 135).

كانـوا لا يحذفونـه في موضع لا تجتمع فيـه الأمثال. ولهذا يحذفـون النون من إني وأني وكأني ولكنـي. ولا يحذفونهـا مـن ليتني. ولما كانـت اللام في (لعل) شـبيهة بالنون حذفوا النون معها، ولا سـيما عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له، فيقولون مرة: إلياسين. ومرة: إلياس. ومرة: ياسين، وربـما قالوا:يأس.ويكون على إحدى القراءتين: قد وقع السـلام عليه، وعلى القراءة الأخرى: على آله[(1)]».

وقد أسلفت سابقًا حين ذكر القراءات فيها، أن السلام ليس محصورًا على إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل هو عامّ له ولأتباعه في ظاهر وجه القراءة بـ (آل ياسين)، وقد يكون خاصًّا به فيظاهر وجه قراءة (إلياسين)، وأن كلا المعنيين مقصود، وأن منزلـة القـراءة مـن القراءة هي بمنزلـة الآية من الآيـة، ولا تعارض بين القراءتين، فنحملهما على المعنيين، والقرآن حمَّالٌ ذو وجوه.

---

(1) ابن القيم، التفسير القيم (ص449).





الخاتمة

آن لنا بعد أن وضعنا عصا الترحال من هذه المسيرة في أفياء الآيات، ولطائف الإشارات، ودقائق العبارات؛ أن نستلهم منها أهمّ النتائج والمحطّات، ومن ذلك:

★ الصحيح في اسم (إلياس) أنه بقطع الألف واشتقاقه من قولهم: رجل ألْيَس: أي شجاع، والألْيَس: الذي لا يفرُّ ولا يبرح من مكانه، وهذا المعنى موجود في اللغات الساميّة القديمة التي هي من أصول اللغة العربية.

★ لا مانع من الجمع بين المعنيين والقراءتين في (إل ياسين- آل ياسين)، وأنه لا يوجد بينهما تضاد؛ فالله سبحانه سلّم على إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسلّم كذلك على آله وهم أتباعه من المؤمنين؛ لأن منزلة القراءة من القراءة كمنزلة الآية من الآية.

★ يدلّ النصّ القرآني أن إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ هو (إلياس) وليس ما سواه من شخصيات الأنبياء الآخرين، وأن ما حكاه البعض من حياته إلى آخر الزمان ما هو إلا ضربٌ من الخرافة.

★ إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن من بني إسرائيل، ولا قومه الذين دعاهم أيضًا؛ فالجميع كانت أصولهم من الفينيقيين الكنعانيين القاطنين في مدينة بعلبك، وما حولها.

★ لم يذكر (العهد القديم) نسـب إلياس، ولم يعرفوا أصله، وما نُقِل عن وهب بن منبه قد جاء من طريق واحد، وفي سنده ضعف شديد ونكارة.

★ على الرغم من اختلاف المؤرخين حول أصول الفينيقيين، إلا أن هناك دلائل كثيرة لدى علماء الآثار وعلم الوراثة تساعد في إثبات أن الفينيقيين هم في الأصل كنعانيون.

★ بَعْلَبَكّ هي جزء من بلاد كنعان الكبيرة الامتداد، وكانت بالنسبة لهم هي المدينة الدينية التي يحجّون ويفدون إليها ويذبحون القرابين.

★ إليـاس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أُرسـل بدعوتـه إلى السـكان القاطنين بتلـك المنطقة (بَعْلَبَـكّ وما حولها)، وهم الفينيقيون، وليس إلى بني إسرائيل، وهذا ما تدلّ عليه الآيات القرآنية في قصّته الواردة بسورة الصافات.

★ الأصـل في معنـى البعل هـو العلـو والاسـتغناء والسـيادة، ولذلك اسـتعمل بمعنى الرب لعلوه وسيادته، وأطلق على اسم صنم بعينه لسيادته، واستعمل بمعنى الزوج لسيادته؛ وعلى هذا فالبعل في اللغة على وجه واحد، وهو كل ما علا وساد واستغنى عن غيره.

★ اسـم الصنم (بعل) معروف في كتب التاريـخ القديم، وهو صنم من أصنـام الفينيقيـين، ومنحوت على الأحجار الشـاهدة على ذلـك حتى يومنا هذا، وهو ما أثبته علم الآثار.

★ كان أجداد الفينيقيين من المسـلمين الموحّديـن، فذكّرهم إلياس بهم، وقد كانوا من بقايا دعوة (ملكي صادق) ودعوة (شـعيب) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ ويشهد

لذلك أن الفينيقيين قد ورد ذكرهم في التوراة عدة مرات باسم طائفة تسمّى (القينيين).

★ (بعل) ليس إلهًا خاصًّا ببني إسرائيل بالأصالة، بل بالتبعية والتقليد؛ وهم لم يعبدوا (البعل) فقط، بل عبدوا الكثير من الآلهة التي رأوها؛ وهذا يدلنا على أن إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يبعث إلى بني إسرائيل، وإنما بعث لقوم عبدوا البعل بالأصالة والحقيقة، وهم الفينيقيون.

★ بقيت آثار الوثنية وعبادتهم للإله (بعل) حتى زمننا الحاضر، فالهياكل الموجودة اليوم في بَعْلَبَكّ هي من تصميم الفينيقيين.

★ سبب ذكر اسم الصنم صريحًا (بعل) افتتان كثير من الناس به على البُعدين الزماني والمكاني، واعتقادهم أنه المتصرف في أحوال العالم من دون الله، استقلالًا لا تبعًا.

★ ما نسبه أهل الكتاب إلى (إيليا) مليء بالخرافات والمتناقضات التي يردّها الشرع والعقل.

★ برزت ضمن الآيات -رغم قصرها- مقامات رفيعة ومقوّمات تأهيلية لإلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وترتّب عليها جزاءات عظيمة لهذا النبي الكريم.

★ تميّزت دعوة إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بثبات المنهج الذي سار عليه الأنبياء، وتنوّع الأساليب الجاذبة للمدعوين.

★ تضمنت الآيات ثلاث صفات لأتباع إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومكافأة رفع الله بها ذكرهم وأعلى شأنهم، وخلّد بها في القرآن موقفهم.

كما أن مِن أهم التوصيات التي يراها الكاتب:

★ الاستفادة من الدراسات التاريخية الموضوعية لمحاولة فهم النصوص القرآنية الواردة في قصص الأنبياء خصوصًا، والابتعاد عن غثاء الإسرائيليات التي فُسّر بها النص القرآني.

★ إفراد كل نبي ورد ذكره في القرآن العظيم ببحث يدرس حياته وبيئته ومنهجه وفق معطيات المعلومات التاريخية الصحيحة، وإحسان إنزالها على النصوص القرآنية الواردة.

وربّي هو الغفور الشكور لما خطّت يداي.. وهو المستعان وحده



المصادر والمراجع



- أحمد، حسن عبدالعزيز، الفينيقيون وإسهاماتهم الحضارية، بحث منشور في مجلة (الدارة) – السعودية، مجلد 5 عدد 4، 1980م.
- الأحمد، أحمد عيسى، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم/ دراسة لغوية تاريخية مقارنة، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1410هـ– 1990م.
- الأحمد، سامي سعيد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، بغداد، وزارة التعليم العالي، 1988م.
- أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو – القاهرة، 1963م
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.
- الإستراباذي، نجم الدين محمد بن الحسن الرضي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: نور الحسن، محمد الزفزاف، محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ– 1975م.
- إسماعيل، خالد سالم، الكنعانيون من الأقوام العربية القديمة في بلاد الشام، بحث مقدم لندوة: الوطن العربي: النواة والامتدادات عبر التاريخ، بغداد، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار التراث، القاهرة، د.ت.
- أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت، رأس الشمرا، ط2، بيروت: دار النهار، 1980م.
- إيناس بهي الدين عبدالمنعم، المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2002م.

- ابن بابويه القمي، أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين قده، عيون أخبار الرضا، تصحيح: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه: محمد النمر- عثمان ضميرية- سليمان الحرش، السعودية: دار طيبة، ط4، 1417هـ- 1997م.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدّكن - الهند، ط1، 1391هـ.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ت.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي، تفسير البيضاوي، بيروت: دار الفكر، د.ت.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تحقيق: علي ناصر- عبدالعزيز العسكر- حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط2، 1419هـ- 1999م.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيم، الكشف والبيان، تحقيق: أبي محمد عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1422هـ - 2002م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ت.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: أحمد القضاة، دار الفرقان، الأردن / عمان، ط1، 1421هـ - 2000 م.
- ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان الموصلي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف بالكويت، 1420هـ - 1999م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الرابعة، 1422هـ2001-م.
- جودت السعد، أوهام التاريخ اليهودي، ط1، الأردن:عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، لبنان، صيدا: المكتبة العصرية، د.ت.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار طيبة -الرياض، ط1، 1426هـ - 2005م.
- حسن عباس نصر الله، تاريخ بَعْلَبَكّ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط1، 1984م.
- حقّي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، روح البيان في تفسير القرآن (تفسير حقّي)، بيروت: دار إحياء التراث العربى، د.ت.
- الحوراني، يوسف، لبنان في قيم تاريخه، بحث في فلسفة تاريخ لبنان، العهد الفينيقي، بيروت: دار النهار، 1992م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: عادل عبد الموجود - علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ1993-م.
- الحيري، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري، وجوه القرآن، تحقيق: نجف عرشي، دار النوادر القيمة، مصر، 1433هـ - 2012م.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، المحقق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، 1401هـ.

* ابـن خالويـه، الحسـين بن أحمـد، مختصر في شـواذ القـرآن من كتـاب البديـع، تحقيق: ج. برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.
* خلايـلي، إبراهيم خليل، الحيـاة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديـم والحوليـات الآشـورية، رسـالة دكتـوراه 2001م، جامعـة تونس، كليـة العلوم الإنسانية.
* ابـن خلـدون، عبدالرحمن، تاريـخ ابن خلدون (كتـاب العبر وديوان المبتـدأ والخبر)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ.
* دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ.
* ديورانـت، ويـل، قصـة الحضـارة، ترجمـة: بـدران، بـيروت: دار الجيـل، 1408هـ - 1988م.
* الذهبي، شـمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سـير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة، 1405هـ.
* الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000 م.
* الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1376هـ-1957-م.
* الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر، الكشاف، رتّبه: محمد عبدالسلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ.
* ابـن زنجلة، عبـد الرحمن بن محمد أبـو زرعة، حجة القـراءات، تحقيق : سـعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ - 1982م.
* السـمرقندي، أبـو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، تحقيق: عـلي معوض، وعادل أحمد، وزكريا النوتي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ.
* السـمين الحلبـي، أحمد بن يوسـف، الدرّ المصـون في علوم الكتاب المكنـون، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، د.ت.

- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.
- السواح، فراس، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، دمشق: دار علاء الدين، ط1، 1995م.
- السواح، فراس، لغز عشتار، ط8، دمشق: دار علاء الدين، 2002م.
- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الربعي، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1993م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان: دار الفكر، ط1، 1416هـ- 1996م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصر: دار هجر، 1424هـ-2003-م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار الفكر، 1415هـ-1995م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دمشق: دار الخير، ط1، 1412هـ.
- الشيخ، حسين، العرب قبل الاسلام، الإسكندرية، 1993م.
- شيفمان، مجتمع أوغاريت، العلاقات الاقتصادية والبنية الاجتماعية، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، دمشق، ط1، 1988م.
- الصبيحي، إبراهيم، النكت الجياد المنتخبة من كلام شيخ النقاد ذهبي العصر العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار طيبة، الرياض، ط1، 1431هـ 2010-م.
- الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، منشورات الأعلمي، طهران 1362هـ.
- الصمادي، إسماعيل ناصر، نقد النص التوراتي، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2005م.

- أبـو الطاهـر، إسـماعيل بن خلف بن سـعيد المقـرئ الأنصـاري السرقسـطي، العنوان في القراءات السبع، المحقق: زهير زاهد - خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ.
- الطـبرسي، أبي منصـور أحمـد بـن علي بـن أبي طالـب، الاحتجـاج، تعليقات: محمـد باقر الخرسان، مطابع النعمان، النجف، 1386هـ.
- الطـبري، محمـد بـن جريـر، تاريخ الأمـم والملـوك، بـيروت: دار الكتب العلميـة، ط1، 1407هـ.
- الطـبري، أبـو جعفر محمد بن جرير، جامـع البيان في تأويل آي القرآن [تفسـير الطبري]، تحقيـق: محمـود وأحمـد شـاكر، دمشـق: مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة الأولى، 1420هـ-2000م.
- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الأمالي، دار الثقافة، قُم، إيران، ط1، 1414هـ.
- طومسون، توماس، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح، ط1، لبنان: بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، 1995م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون، 1997م.
- العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ط5، القدس: مطبعة المعارف، 1999م.
- عبـد الحكيـم، محمد صبحـي، أطلس المملكـة العربية السـعودية والعالم، بـيروت، مكتبة لبنان، 1996م.
- عبد المجيد جمعة الجزائري، اختيارات ابن القيم الأصولية، دار ابن باديس - دار ابن حزم، ط1، 1426هـ/ 2005م.
- ابـن العبري، غريغوريوس أبو الفرج ابن أهرون الطبيب، تاريخ مختصر الدول، صحّحه: أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبناني، 1403هـ / 1983م.
- أبـو عبيدة، معمـر بن المثنى التيمـى البصري، مجاز القـرآن، المحقق: محمد فواد سـزگين، مكتبة الخانجى - القاهرة، 1381هـ.
- العثيمـين، محمـد بـن صالـح، تفسـير سـورة الصافـات، دار الثريـا، الريـاض، ط1، 1424هـ/ 2003م.

- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسـني الأنجري الفاسي، البحر المديد في تفسـير القـرآن المجيـد، المحقق: أحمد القرشي رسـلان، دار الكتـب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1423 هـ - 2002م.
- عصفور، محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م.
- عصفـور، محمد أبو المحاسـن، معالم تاريخ الـشرق الأدنى القديم، من أقـدم العصور إلى مجيء الإسكندر، بيروت، 1984م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ -2001م.
- أبـو عمـرو الـداني، عثمان بن سـعيد بن سـعيد بن عثمان بن سـعيد بن عمـرو، التيسـير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1404 هـ.
- عواطف بنت أديب بن علي سلامة، أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1422هـ -2001م.
- ف.ب.مايـر، حياة إيليـا وسرّ قوّته، ترجمة: القمص مرقـس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1966م.
- فؤاد حسنين علي، إسرائيل عبر التاريخ: في البدء، القاهرة، دار النهضة العربية، د.ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، 1399هـ -1979م.
- أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الحُجَّة للقراء السبعة، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1993م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، المحقق: أحمد يوسـف النجاتي -محمد علي النجار -عبد الفتاح إسـماعيل الشـلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، د.ت.
- فردريـك معتوق، سوسـيولوجيا الحضارة الكنعانية-الفينيقيـة، بيروت: منتدى المعارف، 2014م.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط6، 1416هـ 1996-م.
- أبو القاسم النيسابوري، بيان الحق محمود بن أبي الحسن الغزنوي، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: حنيف القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1415هـ.
- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1376هـ 1957-م.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، 1423هـ2003-م.
- القمّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم، تفسير القمي، مطبعة النجف، ط2، 1387هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، التفسير القيّم، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، 1410 هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المحقق: شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ.
- ابن القيم، أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1973م.
- الكتاب المقدّس (العهد القديم والعهد الجديد)، 2007م، القاهرة: دار الكتاب المقدّس، الإصدار الرابع، ط1.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة، ط2، 1420هـ- 1999م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار التأليف، القاهرة، ط1، 1388هـ- 1968م.
- كرد علي، محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3، 1983م.

- الكرماني، رضي الدين أبي عبد الله محمد بن أبي نصر، شواذ القراءات، تحقيق: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط1، 2001م.
- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، د.ت.
- لمعي، القس داود، حياة إيليا والخدمة النارية، إعداد: ليليان الفي، دار نوبار للطباعة، مصر الجديدة، ط1، 2009م.
- لوبون، غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، القاهرة: مكتبة النافذة، ط1، 2009م.
- مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ترجمة: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981م.
- مازيل، جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، اللاذقية، 1998م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، السبعة في القراءات، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية المصححة، 1403 هـ – 1983م.
- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية، الرياض، د.ت.
- مصطفى كمال – سيد فرج، اليهود في العالم القديم، بيروت، دار القلم، ط1، 1416هـ.
- المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ط1، 1385هـ.
- المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، 1412هـ.
- مهران، محمد بيومي، المدن الفينيقية–تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م.

- ابـن منظور، محمد بن مكـرم أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي، لسـان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ.
- المهايمي، علي بن أحمد الشـهير بالمخدوم، تبصير الرحمن وتيسـير المنان بعض ما يشـير إلى إعجاز القرآن، مصر: مطبعة بولاق، د.ط، 1295هـ.
- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق: دار القلم، ط5، 1420هـ 1999-م.
- نجاة سليم محاسيس، السياحة في الأردن رحلة تأثر القلوب، زهران للنشر.
- النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسـماعيل بن يونس المرادي، إعراب القرآن، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ.
- النسـفي، أبو الـبركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تفسـير النسـفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.
- النيسـابوري، نظـام الدين الحسـن بن محمد بن حسـين القمـي، غرائب القـرآن ورغائب الفرقـان، المحقـق: زكريـا عمـيرات، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى، 1416هـ.
- ابن الهائم، شـهاب الدين أحمد بن محمد الجياني المصري، التبيان في تفسـير غريب القرآن، تحقيق: فتحي الدابولي، دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة، ط1، 1992م.
- هامرتـن، جون.أ.، تاريـخ العالم، ترجمة: وزارة المعارف المصريـة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.
- ابـن هشـام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسـف الأنصاري، مغنـي اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- بيروت، ط6، 1985م.
- أبو هلال العسـكري، الحسـن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، تصحيح الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ/ 2007 م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، التفسير البَسِيط، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1430هـ.

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل عبد الموجود- علي معوض- أحمد صيرة- أحمد الجمل - عبد الرحمن عويس، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.
- يحيى بن سلام، التصاريف (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه)، تحقيق: هند شلبي، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمّان، 2007م.

مراجع أجنبية:

- *Flavius Josephus,The Antiquities of the Jews, translated by William Whiston, New York: Hendrickson, 1980. 355. Ant. 8:13, 2*
- *The American Journal of Human Genetics, Vol. 83, Issue 5*

مواقع إلكترونية:

- بطرس ضو، الحصون الفينيقية، من كتاب تاريخ الموارنة، الجزء الأول، موقع ويب: *http://www.chahadatouna.com*
- تفسير الكتاب المقدس – العهد القديم – القمص تادرس يعقوب: *http://st-takla.org*
- شرح الكتاب المقدس – العهد الجديد – القس أنطونيوس فكري- متى 17 – تفسير إنجيل متى، موقع: *http://st-takla.org*
- شرح الكتاب المقدس – العهد القديم – الأنبا مكاريوس الأسقف العام – طوبيت 1 – تفسير سفر طوبيا: *http://st-takla.org*
- فادي شوكت حداد، النبي إيليا وتل مار إلياس (إيليا)، موقع أبونا: يصدر عن المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام – الأردن: *http://www.abouna.org/content*
- الفينيقيون: *http://www.pheniciens.com*
- الموسوعة الفلسطينية، موقع إلكتروني: */https://www.palestinapedia.net*
- موقع عجلون الإلكتروني: *http://ajlune.tripod.com/marelyas.htm*

الفِهرس

يناقش هذا الكتاب أفكارًا تطرح للمرة الأولى.. ويزيح ركام الأغاليط الناشئة من أوهام (الإسرائيليات) وأساطير (العهد القديم).. ويرسم منهج إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الدعوي ومقاماته ومقوّماته.. ويبرهن على آرائه بحقائق مستوحاة من النصّ القرآني المقدّس.. ويجيب عن إشكالات تاريخية في قضايا شائكة من قبيل:

- هل بُعِث إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى بني إسرائيل؟ أم إلى الفينيقيين؟
- وهل كان أصله عبرانيّ أم عربي؟ وأين كان مولده؟
- وهل (إلياس) اسم النبي؟ أم هو لقب لنبي آخر؟ أو هو عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟
- ولماذا وقع المفسرون في الخلط بشخصيته وأصله وقومه؟
- وكيف ننقد تلك المرويات الإسرائيلية التي اعتمد عليها أهل التفسير؟
- وإذا كان هو نفسه (إيليا) المذكور في (العهد القديم)؟ فما اعتقاد أهل الكتاب فيه؟
- وهل أصول الفينيقيين من (كنعان)؟ وما علاقة إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهم؟
- ولماذا اتخذوا مدينة (بعلبك) عاصمة لهم؟ وما معالم حضارتهم؟
- وكيف عبدوا (البعل)؟ وما اعتقاداتهم فيه؟ ومن أين جاءت كلمة (البعل)؟
- وهل آثار تلك المعالم الوثنية ما زالت موجودة حتى اليوم؟